# الفصل الأول:

# مهارة الكتابة

# أولا: الكتابة

## أهمية مهارة الكتابة، أو لماذا نكتب؟ [1]

الحديث عن أهمية مهارة الكتابة الوظيفية متفرع جدا، ويمكن حصره في مجالات ثلاثة متداخلة هي: المجال التواصلي، والمجال العملي الوظيفي، والمجال الفكري.

### 1. المجال التواصلي

الكتابة وسيلة تواصلية في الأساس، وهي ليست هواية بالتأكيد. كتابة سيئة تعني قدرة سيئة على التواصل، وتعني رفعاً لإمكانية خلق عالم فوضوي مليء بالرسائل الغامضة والمعلومات الخاطئة. الكتابة، في وقتنا الحالي خصوصا، طريق الناس للتعرف إلينا والحكم علينا. في الكتابة، نحن نعبّر عن ذواتنا أمام الآخرين، ونشكّل مواقفنا ونناقشها، ونعكس، بالتالي، شخصياتنا وقناعاتنا وهوياتنا، ونراجعها، ونبنيها. والكتابة، بما هي وسيلة تواصلية، تعين على تحسين قدراتنا في مهارات تواصلية أخرى، وتعين بالنتيجة على رفع الثقة بالذات.

### 2. المجال العملي/الوظيفي

الكتابة الجيدة تعين على الحياة. تسبقنا الكتابة في طريقنا إلى الوظيفة، وترفع من فرص حصولنا عليها، وتجعلنا نبدو، إن كانت كتابة جيدة، أكثر ذكاء. الكتابة الجيدة شرط أساس لحياة أكاديمية ناجحة، ويصعب، في زمننا هذا، أن نتخيل انشغالا عمليا أو وظيفيا بمعزل عن الكتابة. الموظفون يكتبون أكثر، والتجار يقيّدون أكثر، والمؤسسات تدار عبر كتابة التقارير والنشرات والمراسلات الإلكترونية، وحاجة السوق الملحة لعمال مهنيين مرتبطة بقدرة هؤلاء على كتابة من نوع ما. نحن، بعيدا عن التعقيد، نحتاج إلى الكتابة في كثير من مناحي حياتنا؛ في اليومي البسيط، وفي الرسمي على اختلاف درجات أهميته وتعقيده.

---

1 جزء من التأطير النظري، هنا ولاحقا في مبحثي الفقرة والمقالة، جاء بتصرف من كتابي الموسوم بـ «على مدارج الكتابة». انظر: موسى خوري، **على مدارج الكتابة**، مؤسسة فيصل الحسيني، القدس، 2015، ص 12-45.

### 3. المجال الفكري

من المزايا الكثيرة للكتابة أنها تجعل التفكير مرئيا، وتهّيئ مساحة للابتعاد عن الذات والتفكير الموضوعي خارجها، وتمنح القدرة على توضيح المواقف البسيطة والمعقدة، وتحفظ الفكر من الضياع. الكتابة، إن كانت منحازة لقارئها الضمني، تجعلنا نفكر في الآخر، وفي وجهات نظره، وتعيننا على رفع قدرتنا على التحاور والإقناع والتراجع. تساعد الكتابة، بما هي عمل منظم، على تحسّن التفكير المنظم والناقد، وتساعد بالتالي على حل المشكلات التي ينبني عليها، أو ينبغي، كثير من تعليمنا الحديث. في التفكير الناقد تتركز مهارة الشك الصحيّ أيضا، وتصير الكتابة وسيلة لمساءلة الأشياء والكون من حولنا. هذه المهارة، بذلك كله، تمتلك طاقة كبيرة على التأثير في الكون والآخرين، وتعين على التأمل في التجارب الذاتية وتقييمها، وتساعد على نقل التجربة لغايات الإفادة والإمتاع.

## ماذا نكتب؟ كيف نكتب؟ لمن نكتب؟

### 1. ماذا نكتب؟

الكتابة، بكل أشكالها، وسيلة تهدف إلى تواصل من نوع ما، حتى لو كان المخاطب أو المتواصل معه هو ذات الكاتب، وتحديد الهدف من الكتابة يؤثر على طبيعة المخرج الكتابي من نواح متعددة. الكتابة الوظيفية، على سبيل المثال، تختلف عن الكتابة التي تقصد إلى البوح الشخصي أو التعبير عن العاطفة، فلغة فقرة/مقالة تتحدث عن أهمية شجرة الزيتون من الناحية الاقتصادية والطبية والغذائية تختلف عن لغة خاطرة تتغنى بجمال الطبيعة وتتحامل على يد الإنسان التي تدمر هذا الجمال. في الكتابات المنمذجة (الرسالة الرسمية، والسيرة الذاتية، والمحاضر، و...) يجب أن نلتزم بجملة من الضوابط على مستوى اللغة ومستوى تفاصيل المحتويات ومستوى المبنى، في حين لا نحتاج أن نلتزم بها عندما نكتب فقرة تهدف إلى الإقناع، أو الوصف، أو المقابلة والمقارنة، أو عندما نكتب مقالة من أي نوع، أو نكتب خاطرة (إبداعية).

### 2. كيف نكتب؟

هذا سؤال مرتبط ارتباطا مباشرا بنوع الكتابة التي يقصد الكاتب إلى إنتاجها،

والمادة التي تلحق هذا الجزء النظري القصير ستنشغل في الإجابة عن هذا السؤال على وجه التحديد. حتى ينتج الطالب، على سبيل المثال، فقرة من أي نوع، يجب أن يكون على علم بمكونات الفقرة من جملة ضابطة، وجمل داعمة، وجملة ختامية. الأمر ذاته ينطبق على المقالة التي تتوزع بين مقدمة تحوي تمهيدا يحضّر لبسط أطروحة المقالة، ثم مجموعة من فقرات مترابطة ومتسلسلة، ومتناغمة مع تراتبية جزئيات الأطروحة، ثم خاتمة لها شروط محددة.

### 3. لمن نكتب؟

لا شك أن قسما كبيرا من القراء، إن لم يكن القراء جميعهم، تفوّه وهو يقرأ نصا ما بعبارة «أيش يعني!»، أو عبارة «من يهمه الأمر!». نحن نعرف من هو المخاطب عندما نتحدث إليه وجها لوجه، ونقوم، بالنتيجة، بعمليات ضبط مختلفة لحديثنا حتى نضمن القدرة على التواصل الناجح معه. هذا يفسر، مثلا، لماذا تختلف مستويات اللغة التي نستخدمها عندما نخاطب طفلا عن مستوياتها عندما نخاطب شخصا بالغا. في الكتابة يلزم أن يفكر الكاتب بذلك أيضا؛ يلزم أن يفكر بمن سيقوم بفعل قراءة نصوصه ولو بشكل افتراضي. يلزم، بكلمات أخرى، أن يفكر الكاتب بمن يهمه الأمر. إذا كانت طالبة تنتج نصّا تتحدث فيه عن شهر رمضان في فلسطين، هل يتغيّر النص على مستوى اللغة ومستوى المعلومة، في حال كان القارئ المفترض:

- فلسطينياً مسلماً في الأربعين من عمره؟ أو
- فلسطينياً مسيحياً في الأربعين من عمره؟ أو
- شابة أجنبية لا تعرف شيئاً عن تقليد الصيام في فلسطين؟ أو
- رجل دين مسلماً؟ أو
- امرأة يحترق عمرها في المطبخ؟ أو
- ولداً يجرب الصوم للمرة الأولى في حياته؟

يجدر ألّا يختلف أحد على الإجابة، لأن اختلاف القراء المفترضين الذين تم تعيينهم يتحكم بالمخرجات الكتابية قطعا، ويجعلها متباينة بشكل كبير. مؤكد أن ما يحتاج/لا يحتاج أن يسمعه الولد الصغير الذي يتفتح على فريضة الصوم

يختلف عما يحتاج/لا يحتاج أن يسمعه رجل الدين الذي يعظ الناس، ويحثهم على الالتزام بهذه الفريضة.

حين يقوم الكاتب/الطالب بوصف قارئه المفترض من حيث العمر، والخبرة، والوضع الاقتصادي، والوضع الاجتماعي، والثقافة، ومدى المعرفة بموضوع النص، وموقفه من الموضوع تحت النقاش، والعلاقة بالدين، والنوع الاجتماعي، و...، يكون قد رسم صورة لهذا القارئ، وحدد طبيعة الدور الذي يجب أن يقوم به أثناء الكتابة. تحديد من هو القارئ المفترض يوجّه طبيعة اللغة المستخدمة في النصوص، والمعلومة ومستواها، ويحدد وجهة سير هذه المعلومة وتطوّرها، وزخم أو شح تدفقها، ويقصي النصوص عن الثرثرة. تحديد القارئ المفترض، بكلمات أخرى، مهارة تحرير استباقية، وينبغي أن ينجز قبل البدء بعملية الكتابة.

عندما يحدد الكاتب قارئا مفترضا لنصوصه، تتوقف النصوص عن كونها نصوصا مخطوفة الحياة. حياة نصوص الطلبة، مثلا، تخطف لأنها لا تطمح، في أفضل حالاتها، في الوصول إلى أبعد من طاولة المعلمة أو المعلم. يجب أن يفهم الطلبة أن الكتابة مهارة للحياة، وأنهم يكتبون لأن الآخر يريد أن يستمع لوجهة نظرهم، ولأنهم يحتاجون هم أيضا أن يُسمِعوا صوتهم لهذا الآخر.

## من العلامات الفارقة للتواصل الكتابي الفعّال

الآتي بعض العلامات الفارقة للكتابة الجيدة، وهي علامات متعالقة بالضرورة.

1. **الوضوح:** لا يمكن أن يتحقق الوضوح الذي يكفل تواصلا ناجحا مع المتلقي المفترض ما لم تكن الفكرة واضحة تماما في ذهن الكاتب/المرسل. من شروط الوضوح البساطة في التعبير (والبساطة غير التسطيح)، وضبط تدفق الفكرة وتقنينها في الجملة الواحدة أو الفقرة الواحدة. في الكتابة الوظيفية لا يجب أن يفترض الكاتب أن القارئ الضمني يمكنه أن يقرأ ما بين السطور أو يملأ الفراغات، ويشكل، بالتالي، سقوف تأويل.

**تدريب 1:**

ندرس النص الآتي، وهو مقتطع من محضر اجتماع المجلس الأكاديمي في جامعة بيرزيت، ثم نعيّن درجة وضوحه في بعض النقاط، ونقترح صياغة/ صياغات مختلفة تخدم الوضوح بشكل أفضل.

**جدول الأعمال:**

1. الترحيب بالأعضاء الجدد.
2. إقرار خريجي الصيفي.
3. حالات طلابية.
4. آلية عمل المجلس الأكاديمي
5. أمور أخرى.

**مداولات الجلسة:**

1. الترحيب بالأعضاء الجدد: رحب رئيس الجلسة بالأعضاء الجدد.
2. إقرار جدول الأعمال: أقرّ المجلس جدول أعمال الجلسة.
3. أشار رئيس المجلس إلى أنه سيتبع تعليمات النظام الداخلي للمجالس في إدارة المجلس باستثناء المادة 7ج1 (مرفق) والتي تنص "اذا نال موافقة الأغلبية البسيطة من الأعضاء الحاضرين" وأن القرار يصبح قرارا فقط اذا نال موافقة نصف عدد الحاضرين بمن فيهم الرئيس ( المادة جـ -72).
4. أقرّ المجلس خريجي الفصل الصيفي للعام 2017/2016 كما في الجدول المرفق.
5. الحالات الطلابية:

تم تشكيل لجنتين للحالات الطلابية:

أ. **لجنة البكالوريوس:** يرأسها نائب الرئيس للشؤون الأكاديمية المساعد للشؤون البكالوريوس وعضوية مدير دائرة التسجيل والقبول أو من يمثله والعميد المعني وعميد شؤون الطلبة.

2. **الإيجاز:** لا يختلف اثنان على أن البلاغة في الإيجاز غالبا. إذا كان الكاتب قادرا على كتابة ما يريد توصيله في جملة واحدة، تدخل الجملة الثانية في باب الثرثرة. يكون غياب الإيجاز، في أحايين كثيرة، سببا رئيسا في التشويش، أو يكون نتيجة للفكرة المشوشة في ذهن الكاتب أصلا. الكتابة الجيدة كتابة يدرك منتجها أن لا أحد يمتلك بحبوحة من الوقت ليعيش مع نص ثرثار عمرا من غير طائل، لذا يجب الاجتهاد لكي يتم التخلص، مثلا، من الصفات التي لا تصف، ومن التكرار الذي لا يؤكد على شيء، ومن المترادفات التي تثقل كاهل النص والقارئ معا، ولا تقدم معنى إضافيا يخدم أطروحة النص الأساسية.

**تدريب 2:**

ندرس النص الآتي، ونعيّن مدى استغراقه في الثرثرة التي تضيع معها علامة الإيجاز، ونتأمل في المترادفات والصفات التي لا تضيف شيئا إلى المعنى.

حملت الأيام القليلة الماضية إلى الكيان الصهيوني أخبارا غير سارة، وأنباءً سيئةً، وكأنها كابوسٌ مرعبٌ، يقلق في الليل والنهار، ويزعج في الحرب والسلم، ويربك القيادة والعامة، ويخيف الحكومة والجيش، ويحرك الأقلام المرتعشة، ويرفع أصوات الحناجر المهتزة، ويوقظ النائمين من سباتهم، ويعيد المسؤولين إلى الاجتماعات، وينفض الغبار عن مقاعد اللقاءات، وقد تمنت أن ما تسمع وهماً وليس حقيقة، وأنه أضغاث أحلام وليس واقعاً ملموساً ستصحو عليه، وستجد على الأرض نتائجه، وبين مواطنيها آثاره. فقد ساء دولة الكيان وأحزنها كثيراً ما تناقلته وسائل الإعلام المختلفة، عن محاولات استعادة دفء العلاقة بين الجمهورية الإسلامية في إيران وحركة حماس، وعودة الروابط بينهما إلى ما كانت عليه في السنوات الماضية، التي تميزت بالتحالف والتآلف، والاتفاق والتنسيق، والرعاية والضمانة، والكفالة والمساندة، وأنهما قد تجاوزا ما مضى، وشرعا في استئناف العلاقة القديمة، التي كانت تتميز بالقوة، وتوصف بالإستراتيجية.[2]

2 اللداوي، مصطفى، «إيران وحماس حلف لا ينتهي»، صحيفة دنيا الوطن الإلكترونية، 22-12-2014، واسترجع من موقع المجلة www.alwatanvoice.com بتاريخ 20-3-2018 .

3. **التحديد:** الأصل في الكتابة الوظيفية أن تكتب بتركيز "ليزريّ" حول موضوع محدد أو فكرة محددة، وهذا الأمر يرفع من قدرة المتلقي على التركيز، ويحقق التواصل بين المرسل الكاتب والمتلقي القارئ. التحديد لا يعني شطب تفصيلات ضرورية، بل يعني عدم المبالغة فيها، ذلك لأن الانزياحات الكثيرة غير المبررة عن الفكرة الرئيسة تؤكد غياب التخطيط، ومن يفشل في التخطيط يخطط، في الحقيقة، للفشل الكتابي. يجب أن يظل حاضرا في الذهن أثناء الكتابة أن كثير العبط قليل الضبط.

**تدريب 3:**

نلاحظ غياب التحديد في النص الآتي، وهو نص يتحدث عن المرأة ويذهب في حديثه عنها في كل اتجاه.

قبل نكبة 1948م شاركت المرأة في النضال الوطني ضد الاحتلال البريطاني، والتواجد الصهيوني من خلال المظاهرات والإضرابات، ولكن كان تحركها عفوياً في حدود ما تسمح به التقاليد. وقامت الجمعيات النسائية بجمع التبرعات وتوزيعها على عائلات الشهداء والأسرى، كما قامت بخياطة الملابس للثوار، وجمع التبرعات من الحلي والجواهر، لشراء الأسلحة، ونزلت النسوة إلى ساحة القتال، واستشهد العديد منهن، وزادت هذه المشاركة إثر اشتعال نكبة فلسطين، حيث كانت النسوة يقمن بتضميد الجروح في المستشفيات، وحمل الطعام والماء للثوار، وحفر الخنادق، بالرغم من القهر الاجتماعي الذي كن يعانين منه، ولكن مع ضياع الأرض والبيت، وفقدان الأزواج والأبناء وتشتت العائلة، اضطرت المرأة أن تخرج للعمل لإعالة أسرتها بعد أن كانت التقاليد تحرمها من هذا العمل، كما خرجت إلى التعليم بعد الوصول إلى نتيجة بأن التعليم هو الطريق المأمول الموصل إلى دخل مقبول، وقد ساهم ذلك في تحرر المرأة من قيود البيت، وأكسبها نوعاً من الاستقلالية، إذ ارتحلت الفتيات وحدهن إلى أقطار البترول للبحث عن عمل أسوة بالشباب. ومع نكسة 1967م واندلاع انتفاضة 1987م، ازدادت مساهمة المرأة في المظاهرات والمسيرات ضد الاحتلال الصهيوني، وشاركت في رفع الأعلام، وعقد الندوات، وإقامة الاعتصامات، مما أدى إلى تعرضها للفصل من العمل،

أو النقل إلى أماكن بعيدة، أو السجن والتعذيب، أو الإبعاد، أو وقوعها شهيدة.[3]

4. **الترابط:** من شروط الكتابة الجيدة أن تكون متعالقة منطقيا، وأن تتحلى بحسن التخلص من جزئية إلى أخرى، وأن تكون في تعالق جزئياتها على صلة ببوصلة معرّفة مسبقا تتحكم لها سيرورة النص، وتتحقق بتوجيه منها صيرورته في النهاية.

**تدريب 4:**

ندرس النص الآتي ونعيّن مشاكله الكثيرة. بعض هذه المشاكل ورد في النصوص السابقة، والآخر متعلق بقدرة كاتبه على الربط والتسلسل المنطقي وأشياء أخرى.

تتعدد أصناف الطعام الفلسطيني وأشكاله وأنواعه، فلكل شكل منه طعم ومذاق مختلف. كما لا يخفى أن للناس أذواقا وأمزجة متنوعة فيما يختص بالطعام، فالإنسان يتناول الطعام الذي يجد فيه نوعا من التميّز والغرابة وحسن المذاق، وليس من الضروري أن يُعجب الآخرون به. الفلافل أكلة شعبية مفضلة عند الكثير من أبناء الشعب الفلسطيني، ومما يدلل على قولي هذا أنه لا يوجد سوق من الأسواق لا تنتشر فيه المحال التجارية التي تبيعها فإذا تحدثتُ عن الفلافل ربّما يجدني البعض أبالغ في حديثي عن هذه الكرة الذهبية اللامعة، التي تصنعها يدٌ ماهرة، لتخرج في غاية الجمال والإتقان، متناسقة الأحجام والألوان لا أدري إن كنتم تصدقوني القول أن تمسك الإنسان الفلسطيني (بالفلافل) جزء من تمسكه بموروثه الشعبي.[4]

3 أنتج هذا النص مجموعة من المتدربات والمتدربين خلال ورشة في الكتابة الوظيفية عقدتُها في المدرسة الإنجيلية الأسقفية العربية في رام الله خلال العام الدراسي 2016.

4 أنتج هذا النص مجموعة من المتدربات والمتدربين، وقد جمعته مع نصوص أخرى خلال ورشة في الكتابة الوظيفية عقدتها مؤسسة فيصل الحسيني في القدس العام 2015.

5. **الإحاطة:** هذه العلامة محكومة بعلامة التحديد التي مرت. الموضوعات المحددة تغطى في العادة بشكل جيد، وتحقق الإحاطة التي تقصي النص عن صفة السطحية التي يصير معها مس قشرة الموضوع فقط، وبالتالي التقصير في عرض لبه وجزئياته التفصيلية الضرورية. لا يمكن، على سبيل المثال، أن يكتب أحد مقالة قصيرة عن القضية الفلسطينية دون تحديد يحقق الإحاطة، وجل ما يستطيع كاتب جيد فعله هو أن يقتطع (يحدد) جزئية ما من هذه القضية الشائكة والمتشعبة، ويشبعها.

**تدريب 5:**

نعشّب النص الذي يتحدث عن المرأة في التدريب 3، ونجعله مختصا بجزئية واحدة حول المرأة، ثم نشبع هذه الجزئية بمعلومات إضافية نحقق معها علامة التحديد وعلامة الإحاطة.

**تدريب 6:**

نعشّب النص الذي يتحدث عن استعادة دفء العلاقة بين حماس وإيران.

6. **الدقة اللغوية:** الدقة اللغوية مسألة مهمة لتحقيق التواصل الفعال، لكن معرفة معمقة بقواعد اللغة والرسم الإملائي وعلامات الترقيم لا تجعل من الشخص كاتبا مميزا. النص الذي يتحلى بالدقة اللغوية وتتحقق فيه العلامات الأخرى نص أسرع في الوصول إلى محطته الختامية (المتلقي).

**تدريب 7:**

ندرس الأمثلة الآتية، وهي جميعها مختصة بضبط علامات الترقيم، ونلاحظ اختلاف المعنى.

- رأيت امرأة تذبح دجاجة وأطفالا يلعبون في الحديقة.
  رأيت امرأة تذبح دجاجة، وأطفالا يلعبون في الحديقة.
- عاد إلى البيت محملا، بالهدايا والزهور استقبله أولاده...
  عاد إلى البيت محملا بالهدايا والزهور، استقبله أولاده...
- لا بارك الله فيك
  لا، بارك الله فيك
- «إنما يستجيب الذين يسمعون، والموتى يبعثهم الله...»
  إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله...»
- «لا يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به...»
  «لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به...»
- يجب عليك أن تحضر سيرتك الذاتية، وشهاداتك الجامعية مصدقة من وزارة الخارجية.
  يجب عليك أن تحضر سيرتك الذاتية وشهاداتك الجامعية مصدقة من وزارة الخارجية.

7. **تحديد طبيعة المتلقي:** هذه مسألة مركزية في تحقق الكتابة الجيدة، وقد مرّ ذكرها مفصلا في صفحات سابقة. تتعلق بالخلفيات المختلفة (المعرفة المتلقي / الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والسياسية والجنس).

**تدريب 8:**

نكتب نصين قصيرين عن الأكلة الشعبية "الفلافل"، جاعلين القارئ المفترض في الأول سائحا أجنبيا، وجاعلين القارئ المفترض في الثاني بائع فلافل محترفا، ثم نلاحظ - مع التعليل - كيف تحكم المتلقي المفترض بالمخرج الكتابي.

# ثانيا: كتابة الفقرة

"ليس من حق أحد أن يعرف كيف علّمت نفسك الكتابة،
دع الجميع يظن أنك ولدت كاتبا"

إرنست همنغواي

**تدريب 1:**

**نشاط قبليّ (فردي أو جماعي):**

أكتبُ فقرة من ثمانية إلى عشرة أسطر حول سبب اختياري لهذه الجامعة أو هذا التخصص.

## ما المقصود بقولنا فقرة؟

الكلمة في اللغة تقول شيئا، لكنها لا تقول الكثير بالضرورة. إذا أردنا أن نعبر عن فكرة أكثر تفريعا وتعقيدا نلجأ إلى مجموعة من الكلمات التي تشكل، بحسب قواعد اللغة، جملةً يحسن بالمرء السكوت عليها. الجملة، هي الأخرى، لا تكفي لتعبر عن أفكار أكثر تفصيلا وتفريعا إذا كان لدينا الكثير مما نريد قوله حول موضوع ما. نحتاج، والحال كذلك، لأكثر من جملة يشكل جامعها ما يسمى فقرة، ونحتاج، بالتالي، لمساحة أكبر نشغلها على المسطح الذي نعمل عليه - الورقة مثلا.

ليست الفقرة، مع ذلك، مجموعة من الجمل المتلاحقة يترك الكاتب مع بدايتها فراغا بحجم عرض السبابة لتشكل عند تمامها مستطيلا فحسب. الفقرة سلسلة من الجمل المتضافرة، ووجود هذه الجمل متضافرةً هو الذي يشكل مبنى الفقرة بعناصره أو أجزائه المعروفة التي سيتم تناولها في هذا المبحث. كل النصوص الطويلة التي تنتج مؤلفة بالضرورة من تلاحم فقرات؛ وتعلّم كتابة

الفقرة يشكل حجر الأساس الذي يجب ألا نتهاون في أمر مركزيته إذا أردنا أن نبني مجتمعا كتابيا أعضاؤه أناس محضرون لحياة عملية ناجحة. إنّ حل مشكلة الكتابة يبدأ من هنا - من تأسيس ثقافة تعليم كتابة الفقرة حسب الأصول.

الفقرة المثالية لا تتعدى نصف صفحة، و"الفقرات" الطويلة جدا تعكس نوعا من خلخلة في بنية النص. يجب أن يعتاد الطلبة، منذ وقت مبكر، على ألا يتعدى طول فقراتهم نصف صفحة، ويجب أن نعودهم على رفضنا، نحن المدرسات والمدرسين، لفقرة تبدأ ولا تنتهي. لا يخفى أن الفقرات القصيرة جدا، بالمقابل، تعكس ضحالة فكرية من نوع ما، خصوصا في المراحل الدراسية العليا كالمرحلة الجامعية الأولى مثلا.

## مبنى الفقرة

الفقرة مكونة من عناصر أساسية لا خلاف حولها. هذه العناصر هي:

- **الجملة الضابطة:** تأتي في بداية الفقرة غالبا، وتتضمن الفكرة الرئيسة التي ستركز عليها الفقرة حتى نهايتها. الجملة الضابطة، بكلمات أخرى، هي النبتة التي تحتاج الجذور لضمان ثباتها، ووصول الماء اللازم لنموها وإزهارها وإثمارها.

- **الجمل الداعمة/التفصيلية:** هذه الجمل هي الجذور، ودورها أن تقدم التفاصيل، والحقائق، والأمثلة، والاقتباسات، والبراهين التي تدعم الفكرة الرئيسة المضمنة في الجملة الضابطة. الأصل أن تكون هذه الجمل مرتبطة بالفكرة الرئيسة بشكل مباشر، وأي تفصيل شاذ عن هذه الفكرة مؤشرٌ على رداءة الفقرة موضوعيا وتركيبيا.

- **الجملة الختامية:** تأتي هذه الجملة مع نهاية الفقرة، وهي جملة اختيارية (يمكن الاستغناء عنها) تلخص الفكرة الرئيسة. يمكن، في بعض الأحيان، أن تقود الجملةُ الختاميةُ القارئَ إلى الفكرة الجديدة في الفقرة التي تلحق، خصوصا عندما تكون الفقرة جزءا من مقالة.

تحليل/تعيين هذه العناصر في الفقرة الآتية:

## دعامتان لنمط حياة صحي

نمط الحياة الصحي مرتبط بحِمية غذائية صحية، ومرتبط بممارسة نوع من أنواع الرياضة المناسبة. ينبغي أن تتضمن وجباتنا الغذائية اليومية أصنافا متنوعة ومتوازنة من الأطعمة التي يحتاج إليها الجسم. ينصح الخبراء أن تكون الوجبات موزعة بتوازن بين اللحوم، ومشتقات الحليب، والخضار والفواكه، والحبوب. إن نظاما رياضيا يوميا من ثلاثين دقيقة في النهار له فعالية موازية للحمية الغذائية. تحافظ التدريبات الرياضية على لياقتنا، وعلى صحة أجهزة جسمنا وضمان حسن عملها، وتغذي مشاعرنا الإيجابية نحو أنفسنا ونحو الآخرين. هذان الجانبان، الأكل والرياضة، سيضمنان لنا نمط حياة صحيا بالضرورة.

بدأت هذه الفقرة بجملة افتتاحية "نمط الحياة الصحي مرتبط... المناسبة."، وفيها تم تحديد الدعامتين اللتين تضمنان نمط حياة صحيا. الدعامة الأولى هي الأكل الصحي، والدعامة الثانية هي ممارسة الرياضة. هذه الجملة الافتتاحية تتضمن فكرة رئيسة من جزئيتين (الأكل والرياضة)، وتسمى جملة ضابطة؛ لأنها ستضبط، أو يجب أن تضبط، إيقاع تطور الفقرة لاحقا. نلاحظ أن الجملتين اللتين تأتيان مباشرة بعد الجملة الضابطة "ينبغي أن تتضمن... الحبوب" تغطيان الجزئية الأولى من الجملة الضابطة (الأكل)، ونلاحظ أن ما يلي هاتين الجملتين "إن نظاما رياضيا... ونحو الآخرين" مختص بالجزئية الثانية من الجملة الضابطة (الرياضة). الجملة الأخيرة "هذان الجانبان، ... بالضرورة" هي جملةُ الفقرةِ الختاميةُ، وتلخص ما جاء فيها حول الأكل والرياضة كدعامتين أساسيتين لضمان نمط حياة صحي.

تلخيص ما سبق مقدمٌ في الجدول الآتي:

| | |
|---|---|
| الجملة الضابطة | جملة تحدد الدعامتين اللتين تضمنان لنا نمط حياة صحيا: الأكل والرياضة. |
| الجمل الداعمة | مجموعتان من الجمل، المجموعة الأولى خاصة بدعامة الأكل، والثانية خاصة بدعامة الرياضة. نلاحظ هنا أن كل التفاصيل الواردة في الجمل الداعمة لا تشذ عن الفكرة الرئيسة المضمنة في الجملة الضابطة. |
| الجملة الختامية (اختيارية) | جملة قصيرة تلخص ما جاء في الفقرة حول أهمية الدعامتين لضمان نمط حياة صحي. |

إن التأكيد على أن يكون لكل جملة داعمة أو تفسيرية علاقة مباشرة بفكرة الفقرة الرئيسة المضمنة بجملتها الضابطة أمرٌ في غاية الأهمية عند نقل مهارة كتابة الفقرة إلى الطلبة. هذه الممارسة تؤسس لعادات تنظيمية يجب أن نبذرها في حقول طلابنا منذ وقت مبكر من هذا المساق؛ ذلك لأن بذرها سيؤدي بالضرورة إلى انشتالها وتجذّرها في عقولهم، وستصير أية مفردة أو عبارة أو جملة خارجة عن إملاءات الجملة الضابطة نشازا تتحسس منه "الأذن الكتابية" الخاصة بالطلبة المدربين تدريبا جيدا.

في سياق النشاز والأذن الكتابية الحساسة، نقرأ الفقرة السابقة مرةً ثانيةً ونلاحظ:

### دعامتان لنمط حياة صحي

نمط الحياة الصحي مرتبط بحمية غذائية صحية، ومرتبط بممارسة نوع من أنواع الرياضة المناسبة. ينبغي أن تتضمن وجباتنا الغذائية اليومية أصنافاً متنوعة ومتوازنة من الأطعمة التي يحتاج إليها الجسم. ينصح الخبراء أن تكون الوجبات موزعة بتوازن بين اللحوم، ومشتقات الحليب، والخضار والفواكه، والحبوب. **الحبوب مكوّن أساسي لكثير من وجباتنا**

**الشعبية الفلسطينية التي تشكل جزءا مهما من فولكلورنا الغذائي الذي يجب أن نفتخر به ونحافظ عليه.** إن نظاما رياضيا يوميا من ثلاثين دقيقة في النهار له فعالية موازية للحمية الغذائية. تحافظ التدريبات الرياضية على لياقتنا، وعلى صحة أجهزة جسمنا وضمان حسن عملها، وتغذي مشاعرنا الإيجابية نحو أنفسنا ونحو الآخرين. هذان الجانبان، الأكل والرياضة، سيضمنان لنا نمط حياة صحيا بالضرورة.

الجملة (**باللون الغامق**) لا تسير على خط فكرة النص الأساسية المضمنة في الجملة الضابطة، وموضوع الحبوب، كمكوّن أساسي للوجبات الفولكلورية، انحراف يؤدي إلى زعزعة البناء المتماسك للفقرة كما تحقق قبل ظهور هذه الجملة. معروف أن كثيرا من النصوص التي ينتجها الطلبة يحتوي على مثل هذه الانحرافات، ومعروف أن فقرةً فكرتُها الرئيسة الحديث عن كيفية صنع الفلافل، على سبيل المثال، يمكن أن تنقلب إلى خطبة سياسية ثقافية تجعل مسألة الحفاظ على فولكلورنا الغذائي الفلسطيني شكلا من أشكال الصمود والمقاومة. إن وفرة نصوص الطلبة التي تنحرف عن مسارها أو موضوعها الرئيس، أو تأخذ شكلا فضفاضا من بدايتها حتى نهايتها، أمرٌ نحتاج إلى أن نوليه كثيرا من الاهتمام الذي يجب أن يسبق اهتمامنا، دون التقليل من قيمته بالطبع، بصحة العبارة لغويا وسلامتها إملائيا. هل سوّغت سلامة الجملة (باللون الغامق) اللغوية والإملائية ظهورها جسما غريبا داخل جسم منسجم؟

## هل للفقرة أنواع؟

الفقرة في مبناها واحدة، لكن موضوعاتها تختلف. هذا الاختلاف يسوّغ تصنيفها إلى أنواع، ولا يغيّبُ، في الوقت نفسه، إمكانية تداخل هذه الأنواع في الفقرات الطويلة أحيانا. الآتي أكثر الأنواع تداولا:

1. فقرة السرد: تسرد حدثا أو سلسلة من الأحداث.

2. فقرة الوصف: تصف شخصا، أو شيئا، أو مشهدا.

3. فقرة الإيضاح أو التفسير: تستخدم لإيضاح المفاهيم والمواقف، ويمكن أن تعرض لحقائق، أو تقدّم إرشادات لتنفيذ أو إعداد شيء ما، أو تقابل و/أو تقارن بين شيئين، أو تبيّن السبب والنتيجة.

4. فقرة الإقناع: تستخدم لتوصيل/مشاركة رأي حول موضوع ما لإقناع القارئ بوجهة نظر معينة، ودفعه لاتخاذ موقف محدد.

الآتي فقرات نموذجية تعين على تمثّل الشكل في نشاطات صفية قادمة. كل فقرة من هذه الفقرات تبدأ بجملة ضابطة يتبعها عدد من الجمل الداعمة.

### الفقرة الأولى: فقرة السرد (حياة كاتب)

عبد اللطيف عقل أكاديمي وأديب فلسطيني. ولد في قرية (دير إستيا) قرب نابلس في أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي، وتوفي عام 1993. حصل عقل على شهادة الدكتوراه في مجال علم النفس والتربية، وعمل أستاذا في جامعة النجاح، ونشر العديد من الدراسات الأكاديمية في حقله. إضافة إلى انشغاله الأكاديمي، كان عبد اللطيف عقل شاعرا مبدعا أيضا. للشاعر عبد اللطيف عقل ستة دواوين شعرية وثلاث مسرحيات، ومن قصائده المشهورة "رسالة إلى صديق قديم" و"نشيد الانتفاضة".

نلاحظ بعض أدوات الربط المستخدمة: علامات الترقيم/ إضافة إلى... كان/ حرف العطف واو/ الضمائر المستترة والضمائر الظاهرة/ تكرار الاسم عدة مرات يعدّ نوعا من الربط.

### الفقرة الثانية: فقرة الوصف

غرف التدريس في جامعتي متطابقة تماما ومملة تماما، وتولّد لدى الطلبة والأساتذة كآبة من نوع ما. بلاط هذه الغرف موحد ومن النوع البلدي الرخيص، ولونه خليط من السكني والأبيض. تتسع كل غرفة من

هذه الغرف الكثيرة جدا لخمسين مقعدا، وتأتي على لونين: الأصفر أو البرتقالي. عدد شبيابيك هذه الغرف واحد، وشكلها المستطيل واحد، والستائر السوداء التي تغطيها غير نظيفة وغير مصونة. لون الجدران الأبيض الضارب إلى الصفرة موحد يفرضه قانون خاص في الجامعة، والإضاءة من نوع "النيون" الذي بلون القيح. شكل الباب موحد أيضا وله غطاء باهت من "الفورمايكا" الرخيصة يحيط به زنار خشبي غير معالج بشكل حرفي لا على مستوى التشطيب، ولا على مستوى الطلاء. لا فرق في جامعتي إن قضيت نهارك كله في غرفة واحدة أو قضيته متنقلا بين غرفة وغرفة، فالمشهد واحد والكآبة درجات.

نلاحظ بعض أدوات الربط المستخدمة: علامات الترقيم، تكرار كلمة تماما/ أسماء الإشارة/ الضمائر/ الأسماء الموصولة/ أيضا/ لا... ولا/ إن... أو/ حرف العطف واو/ والجملة الختامية نفسها تلخيص مفهومي وهذا نوع من الربط.

## الفقرة الثالثة: فقرة الإيضاح أو التفسير (موقف)

جعلة مخاصة

لم ينقطع معين الشعر العربي في الأرض الفلسطينية المحتلة عام 1948م، على الرغم من العزلة التي عانى منها السكان بعدما باتوا أقلية في أراضيهم/ من جهة، واكب شعراء الأرض المحتلة عام 1948 التطور الفني الذي جرى على الشعر في الوطن العربي الكبير، من حيث الشكل والأدوات الفنية المتنوعة، وأنتجوا شعرا لا يقل في عمق مضامينه ومستواه الفني عن القصائد التي كانت تكتب خارج وطنهم المحتل. من جهة أخرى، تفاعل شعرهم مع الأحداث الوطنية، فتصدى للدفاع عن القضايا العادلة والمختلفة التي أثقلت كاهل الشعب الفلسطيني داخل الوطن وفي الشتات.

نلاحظ بعض أدوات الربط المستخدمة: على الرغم/ بعدما/ من جهة... من جهة أخرى/ علامات الترقيم/ حرف العطف واو/ الأسماء الموصولة/ من حيث... و.

### الفقرة الرابعة: فقرة الإيضاح أو التفسير (مقارنة)

ثقافة العيش في شقة سكنية تختلف عن ثقافة العيش في بيت خاص. الشقة مكان محصور، والمساحات العامة حولها من ساحات وبيوت درج ومصاعدَ، هي مساحات مشتركة تستوجب تصرفاتٍ تأخذ راحة الجيرانً بالحسبان. الصوت محسوب على سكان الشقق وهم بداخلها أيضا؛ ذلك لأن الصراخ في الشقة يصل ببساطة إلى الشقق الأخرى في العمارة والعمارات المجاورة. السكن في البيوت المستقلة، بالمقابل، يوفر خصوصية للساكنين، ويجعلهم أكثر حرية في تصرفاتهم داخل البيت وخارجه، دون أن يتحسسوا من مراقبة أحد أو مضايقته.

نلاحظ بعض أدوات الربط المستخدمة: تختلف عن/ الضمائر/علامات الترقيم/ ضمير الفصل هي/ واو الحال/ ذلك لأن/ بالمقابل/ دون أن... أو.

### الفقرة الخامسة: فقرة الإيضاح أو التفسير (عرض حقيقة علمية)

الفواكه ملّين طبيعي لجسم الإنسان/ بات معروفا بفضل العلم أن الفواكه تحتوي على ألياف تثير حركة الأمعاء، فتنشطها وتساعدها على أداء حركتها الاستدارية بشكل مثالي. والفواكه، بالإثارة التي تحدثها، تحد من نمو الجراثيم الكامنة في الأمعاء، وتقي الإنسان أمراضاً عديدة.

نلاحظ بعض أدوات الربط المستخدمة: بـ.../ فـ.../ أدوات العطف/علامات الترقيم/ الضمائر.

**الفقرة السادسة: فقرة الإقناع (توصيل رأي والحث على اتخاذ موقف)**

تأتي الأقلام التي نستخدمها على أشكال وأنواع كثيرة، والأفضل أن يستخدم المرء قلم الحبر السائل لأسباب ثلاثة على الأقل. قلم الحبر السائل صديق حميم للبيئة. عندما ينضب هذا القلم من الحبر نعاود تعبئته، ونحدّ بذلك من تراكم القمامة البلاستيكية التي تحتاج لسنوات طويلة جدا حتى تتحلل. تنشأ بين هذا القلم وصاحبه، بالنتيجة، علاقة خاصة يصير القلم معها جزءا من تاريخ الشخص، ويصير شاهدا على مراحل متدرجة من حياته الأكاديمية أو العملية. إضافة إلى صداقة هذا القلم الحميمة للبيئة، وإضافة إلى العلاقة التي تنشأ بينه وبين صاحبه، فإن هذا القلم متعدد الشخصية وغير ممل. نستطيع أن نستخدم ألوانا مختلفة من الحبر السائل لتعبئة هذا القلم، ليصير له حضور متعدد ومتلوّن بحسب أمزجتنا ورغباتنا.

نلاحظ بعض أدوات الربط المستخدمة: لأسباب ثلاثة (ذكر عدد ثم تفصيله) / بذلك/ الأسماء الموصولة/ أسماء الإشارة/ بالنتيجة/ إضافة إلى/ وإضافة إلى... فإن هذا.

## قائمة بأدوات ربط كثيرة الاستخدام

هذه مجموعة مختارة من أدوات الربط، ندرسها ونستخدمها في جمل منفردة، وفي النصوص الأطول (فقرات ومقالات):

- بالإضافة إلى/ وبالإضافة إلى هذا(ذلك) فـ.../ إلى جانب هذا (ذلك) فـ.../ وفوق هذا (ذلك) فـ.../ كما/ كما أن.
- لم ... فحسب بل ... أيضا/ لم ... فقط بل ... كذلك/ لا ... فحسب بل ... أيضا/ لن ... فحسب بل ... كذلك/ ليس ... فحسب بل ... كذلك/ رغم (برغم) بالرغم من ... فـ.../ مع أنّ ... فـ... .
- بسبب/ نظرا لـ.../ نظرا لـ... فقد/ وعلى هذا (وعلى ذلك)/ نتيجة لهذا (نتيجة لذلك)/ ولهذا (ولذلك)/ وبهذه الطريقة/ ومن هنا/ ومن ثمّ/ نتيجة لـ..

- ما كاد ... حتى/ لم يكد ... حتى/ ما إن ... حتى/ لا يكاد ... حتى/ ما أنْ ... حتى.
- ما لبث أن (لم يلبث أن) .../ ما لبث حتى (لم يلبث حتى) .../ لا يلبث ... حتى/ لن يلبث... حتى/ لم يمض على.... حتى/ لم يمض .... عُلى .... حتى.
- سواء كان ... أم/ لا ... ولا/ لم ... ولم/ لم ... ولا/ لن ... ولن/ لن ... ولا/ إمّا أن ... وإمّا أن
- خشية/ مخافة/ خوفا من/ خشية أن/ مخافة أن/ خوفا من أن/ خشية ألّا/
- لا بدّ لـ... من أن .../ لا بدّ لـ ... من... .

**تدريب 2:**

أعيدُ، في ضوء ما تعلمته حول بناء الفقرة وأنواعها، كتابةَ النص في التدريب 1.

**تدريب 3:**

أكتب فقرة حول موضوع أختاره، وأراعي أثناء كتابتها بناء الفقرة السليم، وأستخدمُ ما يناسب نوع الفقرة من أدوات ربط.

**تدريب 4:**

أكتب فقرة مقابلة ومقارنة مستخدما الجدول الآتي، ومركزا على استخدام أدوات الربط المناسبة.

| المدارس العامة | المدارس الخاصة |
|---|---|
| مقررات الوزارة | مقررات الوزارة |
| لغة أجنبية – في العادة اللغة الإنجليزية | لغة أجنبية أخرى إلى جانب الإنجليزية |
| نظام التوجيهي فقط | نظام التوجيهي وأنظمة أخرى مثل IB أو GCE |
| غير مختلطة غالبا | مختلطة غالبا |
| أقساطها لا تذكر | أقساطها مرتفعة |
| عدد الطلبة في الصفوف كبير عادة | عدد الطلبة في الصفوف أقل |
| يمكن أن تتوفر فيها التجهيزات اللازمة | التجهيزات فيها جيدة جدا غالبا |
| تلتزم حرفيا بتوجيهات مؤسسة الإشراف التربوي في الوزارة | تلتزم بالخطوط العامة لمؤسسة الإشراف التربوي |
| الزي فيها موحد | الزي فيها موحد |
| يمكن أن تقيم حفلات تخرج | حفلات التخرج طقس مقدس من طقوسها |

**تدريب 5:**

أدرس بعض الفقرات المدرجة، وأقوم بالآتي:

1. أحدد نوع الفقرة.
2. ألاحظ بناءها موزعا بين جملة ضابطة وجمل داعمة.
3. أعيّن بعض أدوات الربط المستخدمة فيها.

**1. التنظيمات العثمانية** تعليمي وإيضاح

قامت فلسفة التنظيمات العثمانية على فكرة المماهاة مع التحديث، والتحديث -كما وعته النخب المحلية (التركية والإيرانية والعربية) في غضون القرن التاسع عشر- كان يعني نقل معطيات الحداثة السياسية الأوروبية إلى مؤسسات الدولة وإدارتها. أتت المؤسسة العسكرية في أولى درجات الاهتمام، انطلاقا من معاينة وجه المقارنة الصارخة بين ما آلت إليه الجيوش العثمانية التقليدية (الانكشارية والسباهية) من حالة الظفر والانتصار إلى حالة التردي والانهزام من جهة، وما أضحت عليه، من جهة ثانية، الجيوش النظامية الأوروبية من حسن تنظيم وتدريب وقدرة، بدءا من القرن الثامن عشر. أتت بعد ذلك المؤسسة الإدارية بمختلف اختصاصاتها لتشكّل حقل الاهتمام اللاحق، بدءا من عام 1839، وهو تاريخ إصدار أول خطوط التنظيمات المعروف بخط « كل خانه»، وكان من أهم بنوده وتوجهاته إلغاء الالتزام. بعدها انطلقت سلسلة من التدابير والإعلانات والإصدارات التنظيمية والقانونية، وأهمها الخط الهمايوني (1856) الذي ركز على المساواة بين الجماعات والطبقات، ثم قانون الولايات عام (1864) الذي نص على وجود مجالس إدارية منتخبة من مستوى القضاء إلى مستوى الولاية.[5]

**2. الفلسفة والنظرية النقدية**

أظهرت الفلسفة منذ بداية ظهورها احتواءها على عنصر هدام. يبين عمل أفلاطون «دفاع سقراط» كيفية اتهام مواطني أثينا لسقراط بإفساده

5 كوثراني، وجيه، «التنظيمات العثمانية والدستور: بواكير الفكر الدستوري نصا وتطبيقا ومفهوما»، **مجلة تبيّن**، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 3، شتاء 2013، ص7.

أخلاق الشباب والتشكيك في وجود الآلهة. كان هذا الاتهام ينطوي على شيء من الحقيقة، فقد شكك سقراط في المعتقدات السائدة، وأخضع اعتقادات راسخة لفترات طويلة للتدقيق العقلاني، وأعمل فكره في مسائل تتجاوز النظام القائم. إن ما عرف لاحقا بـ «النظرية النقدية» قام على هذا الإرث؛ فقد ظهر هذا الاتجاه الفلسفي الجديد في الفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، وشّن أبرز ممثليه حربا ضروسا على الاستغلال والقمع والاغتراب التي تنطوي عليها الحضارة الغربية.[6]

### 3. الأصالة والمعاصرة

لعل المحافظة على التقاليد وصيانتها من العبث تعد إحدى المشكلات التي تنشأ بين الأجيال على تعاقبها؛ فكل جيل نشأ وسط تقاليد معينة وتربى عليها وشكلت أبعاد شخصيته، لا يتمسك بها فقط أو يحافظ عليها، بل يعمل على نقلها إلى الجيل التالي الذي يتربى في أحضانه عبر وسائط مختلفة. فإذا ما حاول أحد الخروج عن دائرة تلك التقاليد بفعل ظروف موضوعية معينة، فإنه يتهم بالمروق، والعصيان، والكفر بتراث الآباء والأجداد، على اعتبار أنه « لا خير فيمن يخرج على سنة السلف الصالح». وبهذا المعنى أصبحت التقاليد تمثل قيدا حديديا على حرية الإبداع والتصرف حسب مقتضى الحال، ومن ثم ينشأ الصراع بين حفظة التقاليد بدعوى أنهم يصونون التراث، وبين المجددين بدعوى أنهم يبدعون كيفما شاءوا، وهو ذلك الصراع الذي أخذ عنوان «الأصالة والمعاصرة».[7]

### 4. معنى المعرفة

المعرفة هي كل ذلك الرصيد الواسع والضخم من المعلومات والمعارف التي استطاع الإنسان أن يجمعها عبر التاريخ، بحواسه وفكره، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام: المعرفة الحسية، والفلسفية، والعلمية التجريبية. تكون المعرفة الحسية بواسطة الملاحظات البسيطة والمباشرة والعفوية عن طريق حواس الإنسان المعروفة، مثل: تعاقب الليل والنهار، وطلوع الشمس

6 برونر، ستيفن إريك، **النظرية النقدية: مقدمة قصيرة جدا**، ت. سارة عادل، ط1، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2016، ص9.

7 هوبسباوم، إريك، ورينجر، تيرني (محرران)، **اختراع التراث: دراسات عن التقاليد بين الأصالة والنقل والاختراع**، ت. شيرين أبو النجا وآخرون، القاهرة: جامعة القاهرة، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، 1993، ص5.

وغروبها، وتهاطل الأمطار، وذلك دون إدراك للعلاقات القائمة بين الظواهر الطبيعية وأسبابها. أما المعرفة الفلسفية فهي مجموع المعارف والمعلومات التي يتحصّل عليها الإنسان بواسطة استعمال الفكر لا الحواس، حيث يستخدم أساليب التفكير والتأمل الفلسفي لمعرفة الأسباب والحتميات البعيدة للظواهر. القسم الثالث من المعرفة هو المعرفة العلمية التجريبية، وتتحقق على أساس الملاحظات والتجارب العلمية المنظمة والمقصودة للظواهر والأشياء، ووضع الفروض، واكتشاف النظريات العامة، والقوانين العلمية الثابتة القادرة على تفسير الظواهر والأمور تفسيرا علميا، والتنبؤ بما سيحدث مستقبلا والتحكم به.[8]

5. **سعيد مراد**

سعيد مراد ملحن فلسطيني ومؤسس فرقة (صابرين). من مواليد القدس، ويقيم فيها. بدأت أعماله تظهر في أواخر السبعينيات، واشتهرت في الثمانينيات والتسعينيات. لحن للعديد من الشعراء كمحمود درويش، وسميح القاسم، وحسين البرغوثي، وسيد حجاب، وطلال حيدر. أسّس سعيد في بداية الثمانينيات فرقة (صابرين) بالتعاون مع موسيقيين فلسطينيين آخرين، كان أبرزهم المغنية كاميليا جبران التي شكلت مع سعيد الأساس المتين لفرقة صابرين. استمر إبداع هذه الفرقة حتى بداية عام ألفين، وشكلت تجربتها نقلة نوعية في الأغنية الفلسطينية الحديثة. من أشهر أعمال سعيد وفرقة (صابرين): «دخان البراكين»، «موت النبي»، «جاي الحمام»، «على فين».

6. **معهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقى**

المعهد الوطني للموسيقى هو أول معهد أكاديمي تم إنشاؤه في الضفة الغربية. تأسس المعهد عام 1993 في مدينة رام الله، ثم فتحت له فروع أخرى في مدن القدس وبيت لحم ونابلس وغزة. التحق بالمعهد في بداية تأسيسه ما يقارب الأربعين طالبا وطالبة، وأخذ العدد بالازدياد إلى أن وصل في يومنا هذا (2017) إلى ما يقارب الألف طالب وطالبة. يعلّم

8 جيدير، ماثيو، **منهجية البحث: دليل الباحث المبتدئ في موضوعات البحث ورسائل الماجستير والدكتوراه**، ت. ملكة أبيض، القاهرة، د.ت. ص 6-7 (بتصرف).

المعهد العزف على الآلات الموسيقية الشرقية والغربية، بالإضافة إلى تعليم النظريات الموسيقية، والعزف الجماعي. تطمح إدارة المعهد في افتتاح فروع أخرى له في المدن الفلسطينية كافة.

### 7. أقطاب السرد

تتشكل البنية السردية من تضافر ثلاثة مكونات هي: الرواي، والمروي، والمروي له. الراوي هو الشخص الذي يروي الحكاية أو يخبر عنها، سواء كانت حقيقية أم متخيلة، ولا يشترط فيه أن يكون اسما متعينا، فقد يتقنع بضمير ما، أو يرمز له بحرف. أما المروي فهو كل ما يصدر عن الراوي، وينتظم لتشكيل مجموعة من الأحداث تقترن بأشخاص، ويؤطرها فضاء من الزمان والمكان، وأما المروي له فهو الذي يتلقى ما يرسله الراوي ويقوم بفعل الفهم والتفسير.[9]

### 8. الرأسمالية والاشتراكية

يختلف مفهوم الملكية بين كل من المدرستين الاقتصاديتين المتعارضتين: الرأسمالية (الليبرالية) والاشتراكية (الماركسية). تستند الفلسفة الاقتصادية الليبرالية على مفهوم الملكية الخاصة، بمعنى حق التصرف المطلق في استخدام رأس المال بهدف الحصول على الربح المادي. تؤدي المنافسة دورا كبيرا في هذا النظام، ويتميز بمحدودية تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، وتعد الولايات المتحدة نموذجا لهذا النظام الاقتصادي الليبرالي. تستند الفلسفة الاقتصادية الماركسية، في المقابل، على مفهوم الملكية العامة، فالدولة هي التي تملك وسائل الإنتاج، وهدفها الرئيس هو السعي من أجل تلبية حاجات المواطنين المتنامية بما يضمن تحقيق العدالة والمساواة، ويترتب على ذلك انعدام التفاوت الكبير بين المداخيل والثروات بين الأفراد.

### 9. الرواية صناعة غربية خالصة

لا ينبغي أن تغيب عنا حقيقة مهمة، وهي أن الرواية منتج ثقافي غربي؛ إذ

9 عزام، محمد، «الراوي والمنظور في السرد الروائي»، **ديوان العرب: منبر حر للثقافة والفكر والأدب**، www.diwanalarab.com، استرجع بتاريخ 28-2-2019.

اعتبر بعض المعنيين بتأريخ الرواية نشر رواية (سيليستا) لفرناندو روخاس في إسبانيا سنة 1499 تأريخا لولادة فن الرواية. تطور هذا المنتج الثقافي بطيئا في أعقاب عصر النهضة الأوروبية، وترسخ نوعا أدبيا في القرن الثامن عشر كاستجابة مباشرة لمتطلبات الكتابة في بيئة عانت تحولات جذرية نجمت عن مفاعيل كتابات مفكري عصر التنوير الأوروبي - تلك المفاعيل التي قادت إلى عصر الثورة الصناعية وثورات الحداثة العلمية والفلسفية والليبرالية والسياسية. إن الإشارة إلى حقيقة كون الرواية منتجا غربيا خالصا هو لتأكيد الوشائج الحتمية التي تجمع الإبداعات الروائية في جميع الجغرافيات البشرية مع الرواية الغربية، وحتمية تأثر تلك الإبداعات دوما بالتطورات التي تطرأ على الرواية الغربية المعاصرة، وبخاصة بعد ترسخ أدوات العولمة الثقافية ووسائلها المشتبكة.[10]

### 10. الأسطورة

كانت الأسطورة، وكل ما يمت لها بصلة من حكايات شفاهية، ضرورة حاسمة للحفاظ على التوازن الرقيق بين روح الإنسان البدائي وبنيته الذهنية والسيكولوجية؛ الأمر الذي وفّر لهذا الإنسان الوسيلة والقدرة لتجاوز محدوديات وجوده الفيزيائي والتفكير بآفاق أبعد من مجرد البحث عن متطلبات أمنه الجسدي وحاجاته البيولوجية البدائية. أمسى وجود الأسطورة والملاحم لدى الكثير من الشعوب الحية وسيلة فعالة للترابط الروحي بين أبناء الشعب الواحد، وصار محفزا فعالا للنظر في موروث إنساني مشترك تتأسس عليه فكرة المواطنة والانتماء المحلي والإنساني.[11]

### 11. صيادون في شارع ضيق

تحضر فلسطين في الرواية الأولى التي كتبها جبرا إبراهيم جبرا بعد ضياع فلسطين، "صيادون في شارع ضيق"، في مستويات ثلاثة: مستوى أول، يُردّ إلى جمال القدس الذي لا نهاية له. ومستوى ثان، يستدعي أطياف الحبيبة التي قتلتها النيران اليهودية. ومستوى ثالث، تفرضه

10 إيغلستون، روبرت، **الرواية المعاصرة: مقدمة قصيرة جدا**، ت. لطفية الدليمي، ط1، بيروت: مدى للإعلام والثقافة والفنون، 2017، ص7-8.

11 المصدر نفسه، ص9.

العائلة الفقيرة التي بقيت فوق شطر من فلسطين، وتنتظر عون ابنها، الذي وصل إلى بغداد عام 1948. وإذا كان المستويان الأول والثاني يتموضعان في ذاكرة جريحة، تحاور أطيافا مضت، فإن المستوى الثالث يمزج الذاكرة بالمسؤولية الأخلاقية المنتصرة.[12]

### 12. النصوص المفتوحة والنصوص المغلقة

يفرق النقاد الذين يشتغلون ضمن أطر نظريات التلقي بين نوعين من النصوص: النصوص المغلقة والنصوص المفتوحة. النصوص المغلقة هي النصوص التي تنعدم معها فرص أن تكون القراءة فعل إنتاج موازيا لفعل الكتابة؛ ذلك لأنها نصوص مباشرة وبنكية في توجهها، ولا تحتاج إلى جهود عقلية أو حتى تفكير معمق يذكر، أو إلى استثمار حقيقي لأي نوع من المهارات اللغوية. النصوص المفتوحة، بالمقابل، هي النصوص التي توفر فرصا للقراءة الفاعلة، ذلك كونها نصوصاً تبتعد عن المباشرة، وتعول على فطنة المتلقي، ولا تستبعد قدرته على الكشف والتأويل، وتحفز مهاراته العقلية، وتثوّر مهاراته اللغوية. من هنا ينفذ (والتر أونغ)، وغيره كثر، إلى أن النصوص المفتوحة تطور لدى المتلقي قدرة على الاعتزاز بالذات؛ فهي تخلّصه من سلطة كاتب النص ومن سلطة النص معا.[13]

### 13. نبوخذنصر

كان آخر الملوك البابليين العظماء هو (نبوخذنصر). عاش هذا الملك في سنة 600 قبل الميلاد، وهو يذكر لأعماله البطولية الحربية وغير الحربية. حارب نبوخذنصر ضد مصر وجلب معه إلى موطنه بابل أعدادا هائلة من الأسرى الغرباء كعبيد. ومع ذلك، فإن أعظم أعماله لا تتجلى في هذه الحروب، فقد قام بحفر قنوات ضخمة وأنشأ صهاريج مائية، وذلك للاحتفاظ بالمياه وري الأرض لتصبح بعدها غنية وخصبة.[14]

---

12 دراج، فيصل، **ذاكرة المغلوبين: الهزيمة والصهيونية في الخطاب الثقافي الفلسطيني**، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2002، ص49.

13 خوري، موسى، «المضامين الفكرية والترقي في مهارات اللغة العربية: مقاربة في الاختيار والمعالجة والتبعات»، **اللغة العربية والفكر المعاصر: بين التواصل والتكامل**، عمان: منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، 2018، ص 254 (بتصرف).

14 غومبريتش، أي أيتش، **مختصر تاريخ العالم**، ت. ابتهال الخطيب، ط1، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد 400، 2013، ص52.

### 14. ديانة المصريين القدماء

إن أهم جزء من ديانة المصريين القدماء هي إيمانهم بأنه وعلى الرغم من أن روح الإنسان تترك جسده عند الموت، فإن هذه الروح تستمر، ولسبب ما، في حاجتها إلى الجسد، وستعاني هذه الروح إذا ما تحلل الجسد إلى تراب. وعليه، فقد اخترع المصريون القدماء طريقة عبقرية لحفظ أجساد الموتى؛ فقد كانوا يدهنونها بالمراهم وبعصارات نباتات معينة، ثم يضمدونها بشرائح قماشية طويلة وذلك حتى لا تتحلل. الجسد المحفوظ بهذه الطريقة يسمى مومياء، واليوم، وبعد آلاف السنوات، لا تزال هذه المومياء سليمة. كانت المومياء توضع في تابوت من الخشب، ثم يوضع التابوت الخشبي في آخر صخري، ثم يدفن التابوت الصخري، ليس في الأرض، ولكن في مقبرة منحوتة من الصخر.[15]

### 15. الرواية العربية الحديثة

من بين رواد تطوير الرواية العربية الحديثة في منطقة سوريا ولبنان، ينبغي ذكر فرنسيس مراش (المتوفى سنة 1873)، وسليم البستاني (المتوفى سنة 1884). ولد مراش في حلب 1836، ثم سافر إلى باريس، لكن صحته المتوعكة أجبرته على العودة إلى سوريا، حيث توفي في سن مبكرة. وفي عام 1865، ظهر كتابه بعنوان "غابة الحق"، وهو عمل فلسفي شديد المثالية، يتحدث عن الحرية مجازا. وكما هو متوقع في عمل كهذا، فإن الشخصيات ترمز لصفات مجردة أكثر من كونها عوامل تغيير حيوية... أما سليم البستاني فقد وضع حجر الأساس لنشأة القصة التاريخية في سلسلة من الأعمال تم نشرها في دورية الجنان، وقد بدأت هذه الروايات الخطوة الأساسية لتهيئة القرّاء لذلك النوع الأدبي، وذلك بالربط بين عناصر الترفيه وعناصر الإرشاد في عمل واحد.[16]

15 المصدر نفسه، ص 40.

16 ألن، روجر، «نشأة الرواية العربية»، **تاريخ كمبردج للأدب العربي: الأدب العربي الحديث**، تحرير: عبد العزيز السبيل وآخرون، ط1، جدة: النادي الأدبي الثقافي، 2002، ص 267.

## إضاءة ختامية

كل الفقرات التي مرت تبدأ بجملة ضابطة تتضمن فكرة الفقرة الرئيسة، ومن الأهمية بمكان أن يطوّر الطلبة مقدرتهم على كتابة هذا النمط من الفقرات التي تحتوي على مثل هذه الجملة التي يلحقها عدد من الجمل الداعمة لفكرة الفقرة الرئيسة. صحيح أن هذا النمط البنائي كثير الحضور في الكتابة، لكن هناك نمط بنائي آخر تكون فيه الفكرة الرئيسة في الفقرة ضمنية. إن النماذج على النمط الثاني هذا كثيرة، ويستطيع الطلبة بعد امتلاك الخبرة الكافية في كتابة النمط الأول أن يتدربوا على كتابة النمط الثاني. الآتي نموذج لفقرة جملتها الضابطة ضمنية غير مصرح بها:

> سعيد يجيد الغناء بشكل لافت، ويعتقد كثير من أصدقائه ومعارفه أن عليه احتراف ذلك. حصل سعيد، مؤخرا، على المرتبة الأولى في مسابقة العزف على آلة العود، وذلك بعد أن فتن لجنة التحكيم التي لم تخمّن أنه بدأ العزف قبل نصف سنة فقط. إن تيسّر لك مشاهدة لوحاته فستعجب من قدرته الهائلة على رسم الظلال وتوليف الألوان الموحية، ومن قدرته التسويقية للوحاته التي باعها بأثمان باهظة. لسعيد، إضافة إلى كل ذلك، مواهب في رياضات كثيرة نحو: كرة القدم، وكرة السلة، والكرة الطائرة.

هذه الفقرة، تماما مثل كل الفقرات التي مرت، موضوعها واحد، لكنها تفتقر إلى جملة ضابطة صريحة تتضمن فكرتها الرئيسة. إن تركز كل الجمل التي وردت في الفقرة حول مواهب سعيد المتعددة يمكّن القراء من تخمين الجملة الضابطة غير المصرح بها. يمكن أن يتصدر أيٌّ من الجمل الآتية الفقرة وتكون جملة ضابطة: لسعيد مواهب كثيرة في حقول متعددة/ سعيد شخص موهوب في أكثر من مجال/ سعيد شخص متعدد المواهب...

# ثالثا: كتابة المقالة

"الكاتب شخص يجد صعوبة في الكتابة لا يجدها أحد غيره"

ثوماس مان

**تدريب 1:**

نكتب منفردين، أو في مجموعات، مقالة مكونة من خمس فقرات حول موضوعٍ حياتيٍّ بسيط.

## تعريف المقالة

المقالة فن نثري، وهدفها الأساسي أن تدعم وجهة نظر محددة وتوصلها إلى متلق مفترض. يمكن أن تكون المقالة قصيرة ولا يتجاوز عدد كلماتها بضع مئات، ويمكن أن تكون أطول من ذلك بكثير، وهي موزعة بين موضوعية وذاتية. المقالة الموضوعية تكون غير منحازة إطلاقا، وغير مطعمة بخبرة الكاتب الذاتية أو تجربته، وأطاريحها يمكن أن تثبت أو يتم التحقق من صحتها بالرجوع إلى الحقائق التاريخية أو العلمية أو حتى الحسابات الرياضية، ولا يعول فيها على التصرفات والمعتقدات والآراء الشخصية. تقدّم المقالة الذاتية، بالمقابل، وجهة نظر تلوّنت بشخص الكاتب وخبراته وتجاربه، لكن دون أن يعني ذلك أنها لا تتكئ في أطاريحها على الحقيقة أو الواقع. طبيعة موضوع المقالة يحدد مدى مراوحتها بين الموضوعية والذاتية، فالغالب في المقالات العلمية والمقالات التي تجنح إلى المحاججة والإقناع أن يكون الكاتب موضوعيا، وأيسر أن تظهر ذاتيته في مقالات أخرى نحو السرد أو الوصف أو المقابلة والمقارنة. شخصية كاتب المقالة أمر مركزي في النوعين، فالمقالة لا تعتمد على صحة الحقائق وصدقيتها فحسب، بل تتشكل أيضا باختيارات الكاتب، وتقييمه النقدي للموضوع الذي يطرحه، وقدرته التنظيمية، ولغته.

## مبنى المقالة

نجد، في سياق الحديث عن هيكل المقالة، أن عبارة "المقدمة والعرض والخاتمة" من العبارات الأكثر حضورا بين مدرّسات اللغة العربية ومدرّسيها. هذه العبارة، في واقع الأمر، هي أكثر ما يسمعه الطالب عندما يصير الحديث حول "تعليم" كتابة المقالة. المعضلة أن هذه العبارة معتمة في تثليثها، فلا أحد في الغالب يلقي الأضواء على تفاصيلَ واشتراطاتٍ ذات علاقة بثلثها الأول (المقدمة)، أو ثلثها الثاني (العرض)، أو ثلثها الثالث (الخاتمة). هذا "التوجيه" الثلاثي، وقد أصبح بوصلة مضللة لكثير من العاملين في حقل تعليم العربية، أسهم في إنتاج ما نحن فيه من حال كتابية في المدارس وفي الجامعات. صحيح أن للمقالة مقدمة وعرضا وخاتمة، تماما كما أن للبناء أساسا وجدرانا وسقفا؛ لكن السؤال الذي يلح هنا، هل يصنع الحديث عن أجزاء البناء مهندسا؟

نعرف الآن أن الفقرة، بما هي بناء متماسك، تتألف من مجموعة جمل تؤدي كل واحدة منها دورها، وتخدم، ملتحمة بغيرها من الجمل، ثبات بناء الفقرة. نعرف، أيضا، أن أي ضعف أو انحراف لواحدة أو أكثر من جمل الفقرة عن خطها أو جملتها الضابطة سيؤدي إلى خلخلة الثبات المطلوب لهذا البناء. تماما كما أن الفقرة مكونة من مجموعة جمل تتحكم في تلاحمها إلى نظام، فإن المقالة مكونة هي الأخرى من مجموعة فقرات تتحكم في تلاحمها إلى نظام.

كل فقرة يمكن أن توسّع، إذا احتملت فكرتها الرئيسة ذلك، لتصير مقالة، ولا أحد يستطيع أن يكتب مقالة قصيرة أو طويلة، أو يكتب بحثا، ما لم يتعلّم ويذوّت مهارة كتابة الفقرة بحسب الأصول التي مرت.

هذه المقاربة لمبنى المقالة مقاربة بسيطة في مستواها، وتسير في خطين متعاضدين: في الأول، يتم التعريف بأركان المقالة من خلال الإجابة عن ثلاثة أسئلة مركزية؛ وفي الثاني، يصير ترحيل التعريفات، وهذا هو الأهم، من مستواها النظري إلى مستواها التطبيقي، وذلك بطريق توفير شكل يطابق بين الفقرة (المعرفة السابقة) والمقالة (المعرفة الجديدة)، وبطريقٍ يطابقُ بينهما مطابقة نصية.

### الأسئلة:

**السؤال الأول: ما المقصود بقولنا "مقدمة المقالة"؟**

مقدمة المقالة، أو فقرتها الأولى، تتألف من عنصرين اثنين: الأول، تمهيد يضع القارئ المفترض في إطار موضوع المقالة، ويرفع من درجة اهتمامه وتشوقه، ويقوده نحو الأطروحة بشكل متدرج من العام إلى الخاص. الثاني، أطروحة تتضمن الأفكار/المسائل المحددة التي ستتطرق إليها المقالة لاحقا في العرض. للأطروحة الواضحة أهمية مركزية، فهي تخدم الكاتب والقارئ على حد سواء - الكاتب، لأنها بوصلة لعملية الكتابة، وضابط لتنظيم بقية جسم المقالة؛ والقارئ، لأنها تحضّره لما سيأتي في عرض المقالة، وتضمن عدم تشتته، وتبقيه متشبثا بفعل القراءة المشتهى.

**السؤال الثاني: ما المقصود بقولنا "عرض المقالة"؟**

عرض المقالة انعكاس لأطروحتها كما وردت في المقدمة، وعدد الفقرات فيه محكوم بعدد الأفكار/المسائل التي وردت في الأطروحة. في إطار هذا المساق، يتركز الحديث حول مقالة من أربع أو خمس فقرات (واحدة للمقدمة، واثنتان أو ثلاث للعرض، وواحدة للخاتمة).

**السؤال الثالث: ما المقصود بقولنا "خاتمة المقالة"؟**

الخاتمة فقرة تبدأ بصياغة مختلفة لأطروحة المقالة كما وردت في المقدمة، وتلخص نقاطا رئيسة وردت في العرض، وتنتهي بعبارة عامة (رأي، أو توقع، أو اقتراح) لها ارتباط بموضوع المقالة بطريقة أو بأخرى. من الأهمية بمكان أن يكون الكاتب على دراية بأهمية النسب في شكل المقالة: بمعنى أن الخاتمة لا تأخذ أكثر من 15% من حجم المقالة، وكذا المقدمة، وما تبقى هو للجزء الأهم في المقالة - عرضها.

### ب. المطابقة الشكلية

حتى نتعمق في فهم مبنى المقالة، لا بد من الإبقاء على مسألة المطابقة بين عناصر مبنى الفقرة وعناصر مبنى المقالة حاضرة في الذهن. هذه المطابقة

الشكلية - خصوصا بعد رفدها بمطابقة نصية بين فقرة ومقالة لاحقا - تمكّن من نقل المعرفة الجديدة (مبنى المقالة) إلى الطلبة على أساس من معرفتهم السابقة (مبنى الفقرة)، وتضمن أن يصير التعليم والتعلّم في بيئة أليفة.

الشكل الآتي يكشف عن تطابق شكل خريطة مبنى الفقرة الصغير مع خريطة مبنى المقالة الكبير:

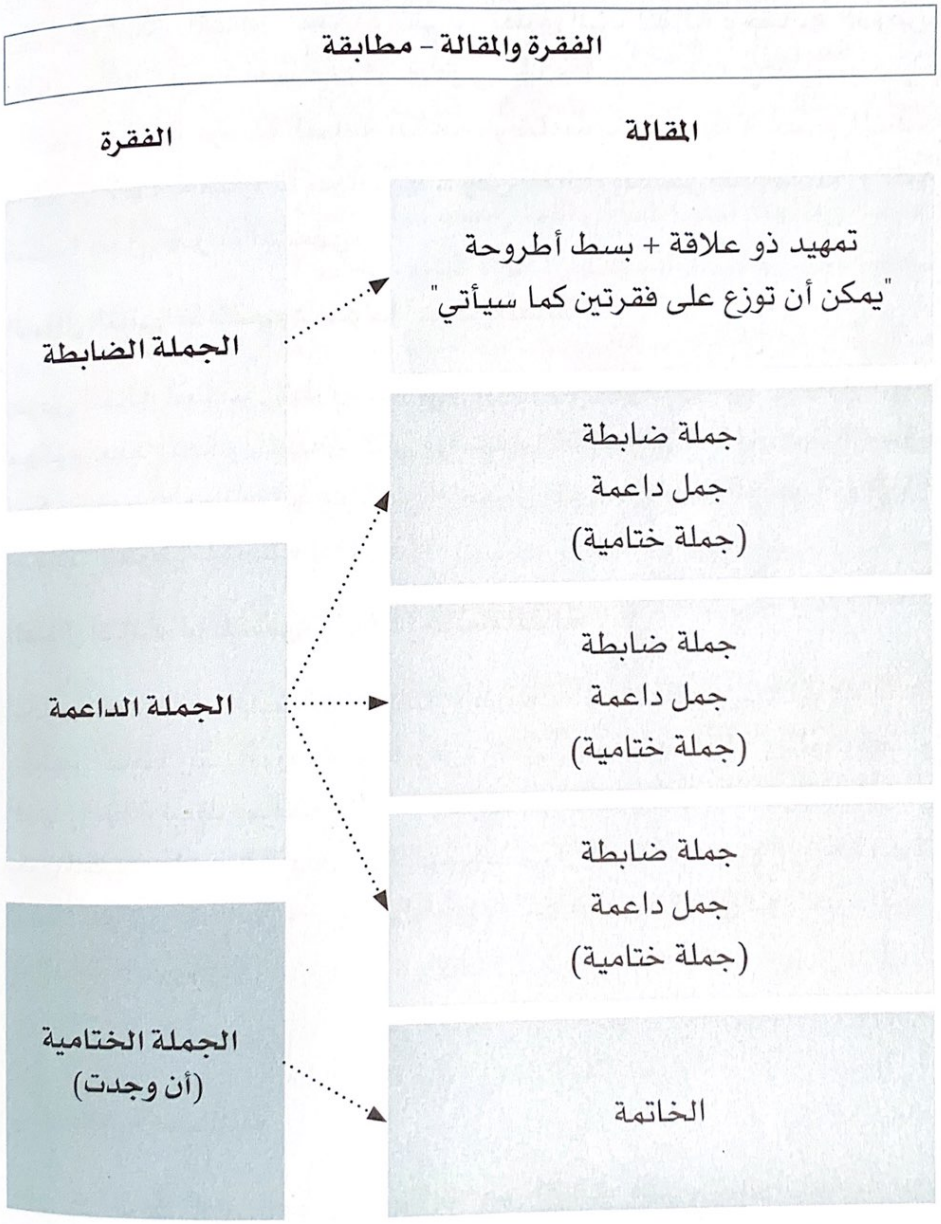

نلاحظ من خلال الشكل أنّ:

- الجملة الضابطة في الفقرة تقابلها في المقالة مقدمةٌ، وهذه المقدمة تتوزع بين تمهيد وأطروحة.
- الجمل الداعمة في الفقرة تُوسّع لتصير كل جملة (أو أكثر) منها فقرةً تقارع جزئية من جزئيات أطروحة المقالة.
- مجموع الجمل الداعمة في الفقرة يقابله مجموع الفقرات التي تتعامل مع جزئيات الأطروحة (العرض).
- الجملة الختامية في الفقرة (إن وجدت) تقابلها في المقالة فقرة ختامية. هذه الفقرة الختامية تعيد صياغة أطروحة المقالة، وتلخص ما جاء في عرضها، وتقدم اقتراحا أو رأيا أو موقفا، أو تفتح الباب لسؤال.

### ت. المطابقة النصية بين فقرة ومقالة

(هذان نصان يجنحان إلى التبسيط لغرض تقريب المفهوم)

فقرة:

**أهمية شجرة الزيتون في فلسطين**

تزرع شجرة الزيتون في مختلف المناطق الفلسطينية، ولهذه الشجرة أهمية تجارية، وغذائية، وطبية. يرفع تصدير الفلسطينيين لكميات كبيرة من زيت الزيتون إلى مناطق الجوار والعالم من قدرتهم الشرائية، ويسهم بالنتيجة في تدعيم اقتصادهم. يعد منتوج هذه الشجرة من زيتون وزيت، إلى جانب أهميتها الاقتصادية، مكوّنا أساسيّا في نظام الفلسطينيين الغذائي، ولا تكاد مائدة طعام تخلو من هذا المكون الغني بالفيتامينات والخالي من الكوليسترول. زيت الزيتون، إضافة لما سبق، مكون أساس لكثير من المستحضرات الطبية والأدوية التي تعتمد المواد الطبيعية بشكل أساسي. لهذه الأسباب، وأخرى غيرها بالضرورة، يجدر بنا أن نضاعف اهتمامنا بهذه الشجرة المباركة.

تشتهر فلسطين بزراعة أنواع مختلفة من الأشجار المثمرة، وبتوزيع جغرافي مرتبط بمناسبة المناخ لنوع الشجرة. من هذه الأشجار المثمرة على سبيل المثال: أشجار اللوز والمشمش والخوخ، وأشجار التين، وأشجار الليمون والبرتقال، وأشجار التفاح، وغيرها. رغم أهمية كل هذه الأنواع من الأشجار المثمرة، تظل الزيتونة التي تزرع في مختلف المناطق الجغرافية سيدة الشجر المثمر عند الفلسطينيين، لما لها من أهمية مركزية في الجانب التجاري، والجانب الغذائي الصحي، والجانب الطبي.

لشجرة الزيتون تأثير إيجابي كبير على التجارة في فلسطين. يصدّر المزارع الفلسطيني ثمرة الزيتون ويصدر الزيت إلى مناطق مختلفة خارج الوطن. يجني المزارع من عملية التصدير هذه أرباحا تساعده على تحقيق العيش الكريم، وترفع من قدرته على الشراء. لا يخفى أن هذا الأمر ينشط، بالنتيجة، حركة التجارة في الأسواق كافة، ويعود بالفائدة على كل الفلسطينيين دون استثناء.

إضافة إلى أهمية شجرة الزيتون من الناحية التجارية، لهذه الشجرة أهمية غذائية كذلك. يعتمد الفلسطينيون في غذائهم اليومي على الزيت والزيتون، فهم يستخدمون زيت الزيتون مكونا أساسيا في كثير من وجباتهم الغذائية. جدير بالذكر أن زيت الزيتون سهل الامتصاص في الجسم، ويحتوي على كمية كبيرة من فيتامين (د) الذي يثبت الكالسيوم الضروري لتقوية العظام والحماية من الكساح. يحتوي زيت الزيتون، فوق كل ذلك، على مادة أوميغا (3) الضرورية لحماية الجسم من أمراض القلب والشرايين.

لهذه الشجرة، إلى جانب الأهمية التجارية والغذائية، أهمية في الجانب الطبي تجعلها شجرة متفوقة على أنواع كثيرة من الأشجار. يستخدم زيت الزيتون في الصناعات الطبية بشكل كبير، فهو يدخل في صناعة أنواع مختلفة من صابون علاج بشرة الوجه ومرطباتها، وعدد كبير من الكريمات العلاجية لأمراض جلدية مختلفة. يدخل الزيت، كذلك، في

صناعة الكثير من الأدوية والمستحضرات الطبية التي تعتمد المكونات الطبيعية بشكل أساسيّ.

لشجرة الزيتون أهمية في الجوانب التجارية من تصدير للخارج وتنشيط للسوق المحلي، ولها أهمية غذائية باعتبارها مكونا رئيسا وصحيا في وجبات الكثيرين منا، وهي شجرة مركزية حين يصير الحديث عن المنتجات الطبية التي يعتمد في تصنيعها على زيت الزيتون. بسبب ذلك، وغيره، يتوجب على المؤسسات الرسمية أن توفر الدّعم اللازم للمزارعين، حتى يتسنى لهم مضاعفة الاهتمام بزراعة هذه الشجرة - المتقشفة والصبورة وطويلة العمر، والاعتناء الدوري بها ورفع منسوب زراعتها.

---

نلاحظ الآن توزع مضامين عناصر الفقرة وعناصر المقالة على الشكل السابق:

## المقالة

تشتهر فلسطين بزراعة أنواع مختلفة من الأشجار المثمرة، وبتوزيع جغرافي مرتبط بمناسبة المناخ لنوع الشجرة. من هذه الأشجار المثمرة على سبيل المثال: أشجار اللوز والمشمش والخوخ، وأشجار التين، وأشجار الليمون والبرتقال، وأشجار التفاح، وغيرها. رغم أهمية كل هذه الأنواع من الأشجار المثمرة، تظل الزيتونة التي تزرع في مختلف المناطق الجغرافية سيدة الشجر المثمر عند الفلسطينيين، لما لها من أهمية مركزية في الجانب التجاري، والجانب الغذائي الصحي، والجانب الطبي.

لشجرة الزيتون تأثير إيجابي كبير على التجارة في فلسطين. يصدّر المزارع الفلسطيني ثمرة الزيتون ويصدر الزيت إلى مناطق مختلفة خارج الوطن. يجني المزارع من عملية التصدير هذه أرباحا تساعده على تحقيق العيش الكريم، وترفع من قدرته على الشراء. لا يخفى أن هذا الأمر ينشط، بالنتيجة، حركة التجارة في الأسواق كافة، ويعود بالفائدة على كل الفلسطينيين دون استثناء.

إضافة إلى أهمية شجرة الزيتون من الناحية التجارية، لهذه الشجرة أهمية غذائية كذلك. يعتمد الفلسطينيون في غذائهم اليومي على الزيت والزيتون، فهم يستخدمون زيت الزيتون مكونا أساسيا في كثير من وجباتهم الغذائية. جدير بالذكر أن زيت الزيتون سهل الامتصاص في الجسم، ويحتوي على كمية كبيرة من فيتامين (د) الذي يثبت الكالسيوم الضروري لتقوية العظام والحماية من الكساح. يحتوي زيت الزيتون، فوق كل ذلك، على مادة أوميغا (3) الضرورية لحماية الجسم من أمراض القلب والشرايين.

لهذه الشجرة، إلى جانب الأهمية التجارية والغذائية، أهمية في الجانب الطبي تجعلها شجرة متفوقة على أنواع كثيرة من الأشجار. يستخدم زيت الزيتون في الصناعات الطبية بشكل كبير، فهو يدخل في صناعة أنواع مختلفة من صابون علاج بشرة الوجه ومرطباتها، وعدد كبير من الكريمات العلاجية لأمراض جلدية مختلفة. يدخل الزيت، كذلك، في صناعة الكثير من الأدوية والمستحضرات الطبية التي تعتمد المكونات الطبيعية بشكل أساسيّ.

لشجرة الزيتون أهمية في الجوانب التجارية من تصدير للخارج وتنشيط للسوق المحلي، ولها أهمية غذائية باعتبارها مكونا رئيسا وصحيا في وجبات الكثيرين منا، وهي شجرة مركزية حين يصير الحديث عن المنتجات الطبية التي يعتمد في تصنيعها على زيت الزيتون. بسبب ذلك، وغيره، يتوجب على المؤسسات الرسمية أن توفر الدّعم اللازم للمزارعين، حتى يتسنى لهم مضاعفة الاهتمام بزراعة هذه الشجرة - المتقشفة والصبورة وطويلة العمر، والاعتناء الدوري بها ورفع منسوب زراعتها.

**الفقرة والمقالة - مطابقة**

**الفقرة**

تزرع شجرة الزيتون في مختلف المناطق الفلسطينية، ولهذه الشجرة أهمية تجارية، وغذائية، وطبية.

يرفع تصدير الفلسطينيين لكميات كبيرة من زيت الزيتون إلى مناطق الجوار والعالم من قدرتهم الشرائية، ويسهم بالنتيجة في تدعيم اقتصادهم. يعد منتوج هذه الشجرة من زيتون وزيت، إلى جانب أهميتها الاقتصادية، مكوّنا أساسيّا في نظام الفلسطينيين الغذائي، ولا تكاد مائدة طعام تخلو من هذا المكون الغني بالفيتامينات والخالي من الكوليسترول. زيت الزيتون، إضافة لما سبق، مكون أساس لكثير من المستحضرات الطبية والأدوية التي تعتمد المواد الطبيعية بشكل أساسي.

لهذه الأسباب، وغيرها، يجدر بنا أن نضاعف اهتمامنا بهذه الشجرة المباركة.

## اعتبارات على شكل سؤال:

**ألا يحدّ شكل المقالة هذا، حين يضع نصوص الطلبة في قالب موحد، من قدرتهم الإبداعية، ومن إمكانية تحقق الاختلاف الجميل بينهم/بين نصوصهم؟**

الإجابة عن هذا السؤال خليط من لا ونعم، وتفصيلها على النحو الآتي:

الطلبة، عموما، بحاجة ماسة لبوصلة توجه عملهم، وتحفظه من الانفلات ومن الضبابية. يرفع تعليم هيكل المقالة كما قدم في هذا الفصل، دون شك، من درجة الوعي التنظيمي الذي نشهد غيابه، إلى جانب أشياء أخرى، في كثير من نصوص الطلبة. حين يستبطن الطلبة هذا الشكل، يصير التعامل مع خرقه عملا منظما بذاته، ويصير مادة تنظيمية أولية لمقالات طويلة يكتبها الطلبة لاحقا. صحيح أن كثيرا من النصوص المُحكمة التي نطالعها في الكتب وفي الصحف لا تلتزم دائما بهذا الشكل، لكنّ الصحيح أيضا أنها تلتزم بعمل تنظيمي لا يمكن أن يصدر إلا عن خبير تدرّج وتمرّس في مهارة الكتابة. نلحظ، على سبيل المثال، أن كثيرا من أطروحات المقالات الصحفية تأتي ضمنية وغير مبسوطة في بداية المقالة أو في مقدمتها، ومتابعة هذه الأطروحات يشكّل نوعا من تحد وإمتاع للقارئ المهتم. يبقى القول إن العمل المثالي، في سياق الإجابة الخليط بين لا ونعم، هو اعتماد ثنائية الاستبطان والخرق عند تدريس مهارة كتابة المقالة: التشديد على ضرورة استبطان الطلبة للشكل المعطى أولا، وعلى ضرورة ترك مساحة للطلبة كي يكتبوا نصوصا تخرق الشكل، وتمتلك خصوصيتها التنظيمية المقنعة ثانيا.

### تدريب 2:

ندرس واحدة من المقالات الآتية بعناية، ونتتبع ظهورات عناصرها من مقدمة موزعة بين تمهيد وأطروحة، ثم نتتبع جزئيات الأطروحة في العرض، ونتفحص الخاتمة، ونلاحق بتمعن أدوات الربط التي تم استخدامها.

## نماذج

### مستقبل الكتاب في عصر التلفزيون والإنترنت[17]

كان الكتاب، وما زال، وسيلة مهمة جدّا من وسائل اكتساب المعرفة. تكرّس دور الكتاب هذا بعد اختراع الطّباعة؛ الأمر الذي سهّل عملية إنتاج الكتاب، وسهّل، بالتّالي، عملية اقتنائه. ورغم هذه الأهميّة التي يتمتّع بها الكتاب، باعتباره وسيلة من وسائل اكتساب المعرفة، إلا أنه يواجه -في عصرنا الحاضر- تحدياتٍ كثيرةً منها: التلفزيون، والإنترنت.

استطاع التلفزيون، ولأكثر من سبب، أن يهدد وجود الكتاب بشكل ملحوظ. يعدُّ التلفزيون وسيلة ترفيهيّة من الدّرجة الأولى، وهو - إضافة لأهميته التّرفيهية - يعدّ وسيلة سريعة وقياسيّة لاكتساب المعارف العلميّة والأدبيّة والفنيّة والسّياسيّة. إن السّرعة التي يمكن للتلفزيون - كجهاز وكمؤسسة - أن ينقل فيها الخبر والمعلومة، والطّريقة التي يمكن للمشاهد من خلالها أن يتابع ويتعلّم، كل ذلك يمكّن التلفزيون من تحدّي الكتاب، ويمكّنه، في حقول كثيرة، من التفوّق عليه أيضا.

إضافة إلى هذا التّحدي الذي يفرضه عالم التلفزيون على عالم الكتاب، يواجه الأخير تحديا من نوع آخر فرضه عصر التّقنيات الحديثة وعصر البرمجيّات المتطوّرة. يعدّ الكمبيوتر، وشبكته المعلوماتيّة تحديدا، التّحدي الأكبر لوجود الكتاب واستمراره. يستطيع الإنسان، اليوم، أن يطالع كميات هائلة من المنشورات (الكتب والمجلات والجرائد وغيرها) عبر شاشة الكمبيوتر دون أن يكلّف نفسه عناء شرائها، ودون أن يكلّف نفسه عناء البحث عن مكان لتخزينها لاحقا. يستطيع الفرد، أيضا، أن يقارب هذا الكمّ الهائل من الكتب دون أن يكلّف نفسه عناء الخروج من البيت إلى المكتبات العامّة والخاصّة. إذا أضفنا لكل هذه الميزات ميزة أخرى مهمة هي التكلفة البسيطة التي يدفعها الإنسان مقابل اشتراكه في الشبكة المعلوماتية، فلا بد أن نقرّ بأن الكتاب يواجه مشكلة وجود، وأن السنوات القادمة ستكون حاسمة في تقرير مستقبله.

17 خوري، موسى، «مستقبل الكتاب في عصر التلفزيون والإنترنت»، **مجلة رؤى تربوية**، فلسطين: مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، العدد 16، 2005، ص17-23.

مع كل هذه التّحديات المفروضة على الكتاب من خصوصّية العصر الحاضر وإفرازاته التقنية في مجال التلفزة ومجال الحوسبة، يبقى للكتاب ألق خاص مكتسب من تاريخه الطويل مقابل التاريخ الحديث للتلفزيون والكمبيوتر. لكنّ السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل سيصمد هذا الألق طويلا أم إنه في طريقه إلى زوال؟

## التغيير والتغيّر، وموقع العرب عموما[18]

التغير طبيعة الأشياء، وبقاء الحال من المحال: أعتقد أن هذه مسلمة متفق عليها من الجميع، ولأجل ذلك أرى أنها خير بداية لموضوع يتناول التغير والتغيير. نحن، إذا، نعيش في عالم متحول، عالم قانون القوانين فيه هو التحوّل والتغير بوتيرة لا تهدأ وحركة تأبى الثبات وترفض السكون. إن المسألة ليست مجرد أن هناك نظاما دوليا أو عالميا جديدا أخذ في التشكل، بصرف النظر عن جدة هذا النظام من عدمها، فنحن لسنا في مجال مناقشة مسألة النظام الدولي الجديد من كونه وهما أو حقيقة بقدر ما أن الاهتمام منصب على مسألة التغيّر والتحول ذاتها. قد لا نتفق على مسألة النظام الدولي الجديد، ولكننا لا ريب متفقون على أن العالم، وعالم اليوم على وجه الخصوص، في حالة من التغير والتحول سريعة ومتواترة يكاد المرء أن يفقد القدرة على متابعتها، واستيعابها. وبعيدا عن التجريدات والتعميمات الفلسفية نقول: إن عالم اليوم، بالذات، يشهد تحولات جذرية في المجالات كافة، وعلى كل المستويات (المتعالقة بالضرورة) من سياسية، وعلمية، وتقنية، واقتصادية، واجتماعية، وغير ذلك، الأمر الذي يستلزم مراجعة لموقع العرب عموما.

هناك تحولات في السياسة سريعة ومتواترة: انهيار ما لم يكن من المتصور انهياره من نظم وقيم ومعسكرات؛ انتصار ولو مرحلي لما كان يعتقد أنه هو الآيل للسقوط والانهيار؛ الاقتراب من أحلام بعض الفلاسفة في حكومة عالمية واحدة، بصرف النظر عن اتفاقنا أو رفضنا لنوع هذه الحكومة والحكم على قيمها وسلوكها؛ تفتّت دول واتحاد دول وغير ذلك من أمور عديدة تحدث أمام أعيننا بوتيرة هي من السرعة والجذرية بحيث أصبحنا نحن أبناء هذا الجيل شهودا على مراحل وحقب، وبحيث أصبحنا من المخضرمين في كل يوم وكل ساعة، وليس كما كان يحدث في عالم الأمس من ضرورة مرور عقود وعقود، بل قرون وقرون، قبل أن تحلّ مرحلة محل أخرى، أو حقبة تبزغ مقابل حقبة تأفل.

وهناك في عالم العلم والتقنية ثورة تاريخية لا تقاس بها إلا الثورتان السابقتان، ونقصد بهما الثورة الزراعية التي استقر من خلالها الإنسان على الأرض والثورة الصناعية التي حوّل من خلالها الإنسان هذه الأرض. نحن بصدد ثورة

18 الحمد، تركي، **الثقافة العربية أمام تحديات التغيير**، لندن: دار الساقي، 1993، ص 1-7. (بتصرف)

ثالثة هي ثورة المعلومات والاتصالات. وإذا كان ما بين الثورة الزراعية والثورة الصناعية والثورة المعلوماتية مئات السنين، فنحن حقيقة، مع ضيق فجوة الزمن، لا نستطيع التنبؤ بوتيرة التحولات المستقبلية والتغيرات الجذرية المقبلة، إذ المسألة أصبحت لا تقاس بالقرون والعقود وربما مجرد الأشهر والأيام. نشهد مع هذه الثورة إعادة جذرية لدور الشباب، ونشهد تنحيا ملحوظا لحكمة المتنفذين والكبار، ونشهد مدّاً ثقافيا من الخارج العربي يؤثر بطريقة أو بأخرى على البنى الثقافية السائدة والشرعية وحتى المقدسة.

وفي مجال الاقتصاد والاجتماع تؤدي هذه التغيرات والتحولات المتسارعة في العلم والتقنية إلى إعادة تشكيل المجتمعات تشكيلا جديدا يأخذ شكل الجذرية والفجأة بعض الأحيان. لقد خلقت الثورة الزراعية الفلاح، وحولت الثورة الصناعية هذا الفلاح إلى عامل بروليتاري، أما الثورة المعلوماتية فقد حولت الجميع تقريبا إلى كمّ من ذوي الياقات البيضاء الذين لا يديرون عملية ما، يدوية أو غيرها، إلا عن طريق أجهزة الاتصالات والمعلومات التي بدونها لا حركة ولا إنتاج. من هنا، «ولأول مرة في تاريخ العالم»، يقول الدكتور محمد جابر الأنصاري، «أصبح رأس المال وحده عنصرا غير حاسم في العملية الإنتاجية. كما أن العمل الإنساني المرتبط به وبتنميته تغيّرت طبيعته إلى عملية ذهنية أكثر منها عضلية. لقد أصبح النشاط الذهني بمادته وقدراته المعلوماتية هو أساس الإنتاج، في حين أصبح رأس المال الذي كان أساس الإنتاج مجرد عنصر من عناصره، ولم تعد له الأولوية الرئيسة كما كان الأمر في ميكانزم العصر الصناعي».

عالم اليوم عالم متغير وسريع التحوّل، هذا هو ببساطة الوصف الأمثل لعالم اليوم على المستويات كافة، وفي كل الأشكال التي هي متشابكة متصلة وليست منفصلة منعزلة. السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما موقفنا، نحن العرب، من كل ذلك؟ مثل هذا السؤال هو في حقيقة الأمر طرح وتحليل للثقافة العربية برمتها، بشكلها وجوهرها وبنيتها وعامها وخاصها، وذلك لأن الثقافة هي الإطار الذي من خلاله يدرك الإنسان ما حوله ومن ثم يسلك ويتصرف وفقا لهذا الإدراك. إنه سؤال يمس طبيعة الثقافة العربية وطبيعة هذا العالم الذي نعيش فيه، والعلاقة بين الاثنين من حيث الفعل ورد الفعل، ومن حيث فاعلية العلاقة أو سكونها، وأخيرا من حيث الاندماج في هذا العالم، أو الانسحاب منه، ومن ثم الفناء أو الاندثار أو الحياة واستمرار البقاء.

## وهل «العضلة» أهم من «القلب»!!!

حتى تنهض المجتمعات، لا بد أن تستثمر في حقول حيوية مختلفة ومتكاملة في الوقت ذاته. المجتمعات لا تنهض اقتصاديا مثلا، وبحسب مقتضيات السوق في أزمنتنا هذه، دون أن تخرّج طاقات جامعية قادرة على التخطيط الاستراتيجي لهذا القطاع الحيوي المهم، ما يعني أن قطاع الاقتصاد يتكامل مع قطاع التعليم- وقطاعات أخرى لا شك- ولا يصير اقتصادا منافسا بدونه.

القول في التكامل ينسحب أيضا على قطاع الصحة الذي يعتمد هو الآخر على مخرجات التعليم في الجامعات التي تدرّس الطب، وتدفع خريجيها إلى قطاع العمل الصحي؛ وهذا الأخير يقسم إلى قسمين رئيسين متكاملين أيضا: قسم الصحة الجسدية وقسم الصحة النفسية. في تمثيل يكشف جوانب من مشهدنا الصحي في فلسطين، يمكن أن نقول: قسم الصحة الجسدية مسؤول عن «العضلة» (القلب فسيولوجيا)، وقسم الصحة النفسية مسؤول عن «القلب» بما هو، في الثقافة، موطن المشاعر والعواطف والانفعالات وغيرها.

نجد في فلسطين، وخلافا للقسم النفسي الذي سنأتي على قراءته، أن العاملين من الأطباء في قسم الصحة الجسدية هم، في الغالب، أناس متميزون حصلوا على معدلات عالية في شهادة الثانوية العامة، ودرسوا على أساتذة في الطب متخصصين تخصصات دقيقة، ويخوضون تجربة متخصصة في جامعاتهم وأثناء التدريب العملي، ويحملون شهادة في الطب البشري، ولا يمارسون المهنة في العيادات إلا إذا عبروا منظومة امتحانات تقرها وزارة الصحة شرطا لمزاولة المهنة. هذه الشريحة من الأطباء تتولى شؤون الإنسان جسديا، الإنسان الذي تتشدق المجتمعات، ومنها مجتمعنا، بأنه أغلى ما نملك.

مقارنة بصورة هذا الواقع الذي يمكن أن نجادل بأنه غير معتم إجمالا، نجد صورة الواقع في قسم الصحة النفسية قاتمةً تماما. لسوء الحظ أو رداءته حتى، فإن معدلات قبول الطلبة لتخصص علم النفس في الجامعات الفلسطينية متدنية بشكل ملحوظ، هذا إن لم تكن من أدنى معدلات القبول في الجامعات، وعدد لا بأس به من أساتذة هؤلاء الطلبة يأتون من تخصصات أخرى كعلم الاجتماع وعلم الإنسان. حتى يزداد طين المشهد بلة، تتخرج هذه الأفواج ولا يضبطها أو يضبط عملها ميثاق من أخلاقيات واشتراطات، كما لا يضبط

عملها ترخيص واضح ومعرّف لمزاولة المهنة في حقل الصحة النفسية، كما ويمكن- لأن من شابه أستاذه ما ظلم- أن يعمل خريج علم اجتماع أو علم إنسان في حقل الصحة النفسية أيضا، دون أي حرج نفسي.

يظهر أننا نرى، في أعماقنا القبلية وامتداداتنا العائلية، أن هذه الأعماق وهذه الامتدادات مصدر للدعم المادي والاجتماعي والترفيهي، ويظهر أننا غير مقتنعين في قرارة أنفسنا بأننا نحتاج إلى متخصصين نفسيين مؤهلين. كما ويظهر أن اهتمامنا بـ «العضلة» يأتي على حساب «القلب» الذي تتولاه في دول متقدمة طواقم محضرة ومحكومة بميثاق ورخص، وتتحمل مسؤولية فعلها. يكفي، عندنا، أن نصعق «العضلة» لكي تنبض وحسب، متناسين أن ليس بالعضلة وحدها يحيا الإنسان، بل بالقلب أيضا.

**تدريب 3:**

أعيد أو نعيد، على ضوء ما تقدم حول بناء المقالة ونماذجها، كتابة المقالة القبليّة في التدريب رقم 1.

مقدمة ← تحميد ← أطروحة

عرض ← فقرة (١، ٢، ٣)

خاتمة ← تلخيص أو موقف أو طرح سؤال

١) ليس من مهنة قادرة ونفع علم

٢) يحرم العائلة لا يباح في الجزاء.

٣) الرقعة سلاح ذو حدين

## جدول معايير: الفقرة

| | | |
|---|---|---|
| الجملة الضابطة | تتضمن الفقرة جملة ضابطة واضحة ومثبتة في مكانها الصحيح. | علامتان |
| الجمل الداعمة | تتضمن الفقرة جملا داعمة مقنعة وملتزمة بما ورد في الجملة الضابطة. | علامتان |
| الترقيم وطول الجمل | استخدمت علامات الترقيم بشكل صحيح، والجمل قصيرة غير مركبة أو منسابة. | علامة ونصف |
| الترابط والتشويق | تعكس الفقرة ترابطا منطقيا، ومشوقة، واستخدمت فيها أدوات ربط. | علامة ونصف |
| غنى المفردات والتعبيرات | المفردات والتعبيرات غنية و/ أو فريدة، وتستخدم بشكل صحيح ومقنع في السياق. | علامة ونصف |
| السلامة اللغوية والإملائية | الفقرة خالية من الأخطاء اللغوية والإملائية. | علامة ونصف |

## جدول معايير: المقالة

| | | |
|---|---|---|
| المقدمة | التمهيد واضح، ومناسب لموضوع المقالة، ويشد القارئ لمتابعة القراءة. أطروحة المقالة واضحة، ومفصّلة، ويمكن أن تعالج بحدود طول المقالة. | علامتان |
| العرض | يعكس العرض ما ورد في جزئيات الأطروحة ويدعمه، وموزع على فقرات مبنية بناء سليما من حيث التزامها بجملة ضابطة وجمل تفصيلية داعمة. | ثلاث علامات |
| الخاتمة | أعيدت في الخاتمة صياغة الأطروحة، ولخصت أهم النقاط الواردة في العرض، وفتحت مجالا لاستفسار أو سؤال عالق. | علامة |
| الترابط والتشويق | المقالة، بأجزائها، مترابطة، وفيها انتقال منطقي وسلس من فكرة إلى أخرى، ومشوقة. | علامة |
| الترقيم وطول الجمل | استخدمت علامات الترقيم بشكل صحيح، والجمل قصيرة غير مركبة أو منسابة. | علامة |
| غنى المفردات والتعبيرات | المفردات والتعبيرات غنية و/ أو فريدة، وتستخدم بشكل صحيح ومقنع في السياق. | علامة |
| السلامة اللغوية والإملائية | المقالة خالية من الأخطاء اللغوية والإملائية. | علامة |

# أولا: رسالة التغطية

رسالة توجهه إلى شخص لشغل منصب رسمي.

رسالة الكترونية.

## ما هي رسالة التغطية؟

رسالة التغطية نص قصير (يفضل ألّا يتجاوز الصفحة الواحدة) من النصوص المنمذجة نحو: الرسائل الإدارية على اختلافها، والمذكرات الداخلية، والرفائع (الاستدعاءات)، ورسائل الاعتراض، وغيرها.

ترافق رسالة التغطية طلب التوظيف، وتكون أول صفحة فيه، وتتضمن معلومات مختصرة عن مؤهلات المتقدم للوظيفة، وإنجازاته، واهتماماته، وميزاته الشخصية ذات العلاقة. تظل رسالة التغطية، على قصرها، مهمة جدا؛ فهي أول نص مكتوب يخبر عن المتقدم للوظيفة، أو هي البوابة التي تغري الموظِّف لكيما يعبر من خلالها إلى بقية مرفقات الطلب، ثم يدعو المتقدم، إن أحسن الأخير كتابتها، إلى مقابلة توظيف. رسالة التغطية السيئة، بالمقابل، تجني على صاحب طلب التوظيف، ويمكن أن تعطّل فرصه في الحصول على وظيفة قد يكون مؤهلا لها تأهيلا منافسا.

تملأ رسالة التغطية فراغات حول أهلية وشخصية المتقدم للوظيفة يصعب إدراجها غالبا في بنية السيرة الذاتية، ويجب أن تعكس معرفة صاحبها بالمؤسسة التي أعلنت عن الوظيفة وبأهدافها، ذلك لأن هذه المعرفة تجعل المتقدم أكثر إقناعا عند الحديث عن أهليته لملء الشاغر المعلن، وتجعله على علم بطبيعة قارئه المفترض، وكيفية مخاطبته. رسالة التغطية الجيدة اختبار استباقي في التواصل الفعّال، والفشل في تحقيق ذلك يصعب ترميمه في الغالب.

## عناصر رسالة التغطية وشكلها

نلاحظ توزع العناصر في الترسيمة الآتية، ونلاحظ الشكل:

**اسم المتقدم للوظيفة**

بريده الإلكتروني  رقم هاتفه الثابت والجوال

عنوان إقامته

اليوم والشهر والسنة

اسم المرسل إليه (----------) ولقبه (مدير الموارد البشرية مثلا)

عنوانه البريدي والإلكتروني ----------

السيد (اسم المرسل إليه)

(تحية رسمية) وبعد،

**الفقرة الأولى:** تقديم الذات (من أنت، أين وجدت الإعلان عن الوظيفة الشاغرة، وما هو مجال خبرتك، وعبارة تفيد بأنك الشخص المناسب للوظيفة الشاغرة).

**الفقرة الثانية:** في هذه الفقرة تصير الإشارة إلى شروط الوظيفة كما ظهرت في إعلان المشغّل، وفيها يصف المتقدم كيف تلبي خبرته السابقة ومهاراته وقدراته حاجات المشغّل المعلنة. يفضل تفصيل هذه المسائل بالتساوق مع شروط الوظيفة كما ظهرت في الإعلان.

**الفقرة الثالثة، أو فقرة الميل الإضافي:** هذه الفقرة تكشف عن بحث المتقدم واهتمامه بأهداف المشغّل وتوجهاته، وتظهر ما يمكن أن يجلبه المتقدم من إضافة نوعية لمسعى تحقيق المشغّل لهذه الأهداف والتوجهات. باختصار غير مخل، هذه الفقرة تقول: لماذا يصلح المتقدم لهذه الوظيفة كما لا يصلح أحد غيره.

**الفقرة الختامية:** في هذه الفقرة يقول المتقدّم أنه يرغب في أن يدعى إلى مقابلة يستحقها للأسباب التي تم توضيحها في الفقرات السابقة، وأنه مستعد للمقابلة في الوقت الذي يقترحه المشغّل.

باحترام

اسم المتقدم

## نموذج رسالة تغطية


**كريم فياض مَرْجِيّة**

KfayyadM@yahoo.com هاتف XXXXXXX جوال XXXXXXX

رام الله، فلسطين ص. ب. XX


رام الله في 31-12-2019

إبراهيم سعيد العلمي، مدير الموارد البشرية في الكلية العربية

رام الله، فلسطين

ص. ب. 55

IbrahiimA@yahoo.com

حضرة السيد إبراهيم سعيد العلمي المحترم

تحية طيبة وبعد،

اسمحوا لي في البدء أن أتقدم منكم، أنا كريم فياض مرجية، بالشكر الجزيل على إتاحة فرصة التقدم لوظيفة مدرّس لغة إنجليزية متفرّغ في كليتكم المرموقة، ويسرّني، بعد مطالعة شروط الوظيفة والمهام المرتبطة بها كما وردت في إعلانكم المنشور في جريدة القدس الأسبوع الماضي، أن أؤكد لكم، وبكل ثقة، أنني أمتلك المؤهلات والخبرات المدرجة في الإعلان، وأستطيع أن أضطلع بالمطلوب والمتوقع على أكمل وجه مؤمّل.

تخرجت عام 2010 من كلية الآداب في جامعة بيرزيت- فلسطين، تخصص اللغة الإنجليزية وآدابها، وكان تحصيلي العالي (معدل تراكمي 87%) ثمرة لاهتمامي الشديد في حقل تخصصي، ولمثابرتي في الدرس والتحصيل. حصلت، إضافة إلى شهادتي البكالوريوس والماجستير في اللغة الإنجليزية وآدابها، على دبلوم في أساليب تعليم اللغة الإنجليزية لغةً ثانية، ولي الآن في حقل تعليمها خبرة تصل إلى عشر سنوات موزعة بين تعليم مدرسي وجامعي. يمكنني، مسلحا بالتأهيل الأكاديمي والتربوي وبالخبرة المتراكمة، أن أؤكد لكم أنني قادر على:

. تعليم كل المساقات في المراحل الدراسية المختلفة في كليتكم،

. الإشراف على المشاريع البحثية الخاصة بالطلبة،

. متابعة تدريب الطلبة العملي في المدارس خارج الكلية كما تتوقعون وأزيد.

لأنكم كلية تسعى إلى تمكين طلبتها في مهارات قيادية خارج إطار التخصص، يسعدني أن أشير، في هذا المقام، إلى خبرتي الكبيرة في إدارة المناظرات الثقافية، وتنظيم الأنشطة غير المنهجية التي تفرضونها على طلبتكم شروطا للتخرج. تفاصيل تأهيلي في هذا المجال وحدود خبرتي فيه مدرجة على السيرة الذاتية، وفيها تجدون مسردا بالمؤسسات التي وظفتني لتقديم هذا النوع من الخدمات.

أتمنى، بعد تشريفي بمراجعة سيرتي الذاتية وملحقات طلبي، أن ترون فيّ مثالا للمرشح المؤهل والمنافس الذي تبحثون عنه. أتطلع بشغف لشرح كيف ستكون مهاراتي وقدراتي محل فائدة للمؤسسة، وأنتظر أن تتواصلوا معي على أرقام هواتفي المدرجة في رأس الصفحة لترتيب لقاء تقترحون موعده.

باحترام شديد،

كريم فياض مرجية

## أمور يجب تذكّرها عند كتابة رسالة التغطية

- عدم ارتكاب الأخطاء الإملائية واللغوية على اختلافها (ليس عيبا أن نطلب مساعدة صديق).
- الابتعاد عن الجمل والفقرات الطويلة التي تبدأ ولا تنتهي.
- عدم ارتكاب أخطاء في كتابة اسم الشركة أو اسم مدير التوظيف.
- عدم توفير معلومات/خبرات لا أساس لها من الصحة، أو غير ضرورية لشروط الوظيفة.
- عدم السؤال عن الدخل المتوقع أو المشتهى.
- عدم ذكر مشغّلك الحالي بالسوء.

① التحدث بثقة لنفسك لكن دون وجود مفارقة ومقارنة

- الابتعاد عن كل ما هو ذاتي وغير مرتبط بمؤهلاتك العلمية والعملية.
- عدم ذكر شيء عن الوظيفة باعتبارها سلما لشيء أهم في المستقبل.
- عدم ذكر ما تريده من الوظيفة، والتركيز على ما تستطيع أنت تقديمه إلى الجهة المشغِّلة.
- الابتعاد عن لغة الاستجداء واللطف المبالغ فيه، والترفع عن ذكر أي مشاكل أو أوضاع تمر فيها وأنت تحاول الحصول على الوظيفة.
- الاختصار أولا وأخيرا.

**تدريب:**

أبحث عن إعلان وظيفة شاغرة في واحدة من الصحف المحلية، ثم أكتب رسالة تغطية متكئا في صياغة متنها على النموذج السابق وعلى نص الإعلان.

المعايير

① الخط

② الحفاظ على الآداب

③ الخلو من اسلوب الامر ونحوه

④ اظهار ماميزك عن غيرك إضافة لتوافر الشروط لديك

- الرسالة

① تغيير موقع المرسل والمستقبل

② إعادة ذكر جميع المعايير.

# ثانيا: السيرة الذاتية

## ترسيمة/نموذج لسيرة ذاتية

مع أن أشكال تنظيم السير الذاتية، والنماذج التي يمكن العثور عليها على شبكة الإنترنت بالعربية أو بلغات أخرى، كثيرةٌ، إلا أن محتويات السير الذاتية تظل متشابهة إلى حد كبير. النموذج المدرج هنا واحد من النماذج الكثيرة التي يمكن اعتمادها، وهو موضوع لغايات التمثيل وتحديد المدخلات.

**معلومات شخصية:**

| الاسم | | الجنسية | تاريخ الميلاد | العمر | مكان الميلاد |
|---|---|---|---|---|---|
| | | | | | |
| العنوان | هاتف منزل | | هاتف فاكس | | |
| | هاتف جوال | | البريد الإلكتروني | | |
| الوظيفة | | | الجهة | | |

**الأهداف:**

| نوع الهدف | الأهداف |
|---|---|
| | |

**المؤهلات العلمية:**

| المؤهل | تاريخه | التقدير | الجامعة / المعهد/ الكلية/ المركز | التخصص |
|---|---|---|---|---|
| | | | | |

# ثانيا: السيرة الذاتية

## ترسيمة/نموذج لسيرة ذاتية

مع أن أشكال تنظيم السير الذاتية، والنماذج التي يمكن العثور عليها على شبكة الإنترنت بالعربية أو بلغات أخرى، كثيرةٌ، إلا أن محتويات السير الذاتية تظل متشابهة إلى حد كبير. النموذج المدرج هنا واحد من النماذج الكثيرة التي يمكن اعتمادها، وهو موضوع لغايات التمثيل وتحديد المدخلات.

**معلومات شخصية:**

| الاسم | | الجنسية | تاريخ الميلاد | العمر | مكان الميلاد |
|---|---|---|---|---|---|
| رباعي | | | | | |
| العنوان | هاتف منزل | | هاتف فاكس | | |
| | هاتف جوال | | البريد الإلكتروني | | |
| الوظيفة | | | الجهة | | |

**الأهداف:**

| نوع الهدف | الأهداف |
|---|---|
| | |

**المؤهلات العلمية:**

| المؤهل | تاريخه | التقدير | الجامعة / المعهد/ الكلية/ المركز | التخصص |
|---|---|---|---|---|
| | | | | |

**الدورات التدريبية والندوات والمحاضرات وورش العمل :**

| البرنامج | تاريخه | المركز | محتويات البرنامج |
|---|---|---|---|
| | | | |

**الخبرات العملية:**

| الوظيفة | | الشركة | | الفترة | |
|---|---|---|---|---|---|
| المهام | | | | | |

**العضويات واللجان المشارك فيها:**

| اللجنة أو الجمعية | نوع العضوية | الفترة الزمنية | هاتف |
|---|---|---|---|
| | | | |
| | | | |

**مهارات أخرى:**

| نوعية المهارة | المهارات | | | |
|---|---|---|---|---|
| تقنية المكاتب | الحاسب الآلي والإنترنت | | | |
| اللغات | اللغة | التحدث | القراءة | الكتابة |
| | العربية | | | |
| | الإنجليزية | | | |
| أخرى | | | | |

**المعرفون:**

| الاسم | جهة العمل والتخصّص | رقم الجوال |
|---|---|---|
| | | |

# الفصل الثالث:

# مهارة
# تحليل النصوص

# أولا: لماذا هذه النصوص؟

غرض هذه النصوص أن تخدم المهارات اللغوية الأربع: مهارة فهم المقروء، ومهارة الكتابة، ومهارة المحادثة، ومهارة الاستماع.

## فهم المقروء

"القراءة تعني الاقتراب من شيء هو قيد الصيرورة" عبارة حداثية تركز على دور القارئ، ليس باعتباره متلقيا سلبيا، بل باعتباره متلقيا فاعلا يسهم في بناء النص وصيرورته. القراءة، بما هي عملية يقصد منها الوصول إلى معنى في نص، إجراء تفكيكي وتركيبي يقوم به قارئ فاعل للكشف عن محمولات النص المقصودة وتوجيهاته، والكشف عن محمولاته الضمنية التي تتسلل إليه بفعل متحكمات كثيرة مثل السياق، والنوع الأدبي للنص، وجمهور النص الضمني، وأجندات أو توجهات كاتبه من ثقافية و/أو سياسية و/أو اجتماعية وغيرها.

تتباين درجة التفاعل النشط مع النص ودرجة انكشاف راقاته والقدرة على استنطاقه بتباين استعدادات القرّاء النفسية أثناء القراءة، وتباين مهاراتهم اللغوية، وخلفياتهم الاجتماعية، وميولهم، وثقافتهم عموما، والهدف من فعل القراءة ذاته، ومدى ألفتهم بحقل النص... من هنا لا بد من التأكيد على مسألتين: على أهمية النص كمحدد للمعنى من جهة، وعلى عدم كفاية النص، أو على قصوره، في تحديد المعنى بمعزل عما يحضره القارئ إليه من استعدادات ومهارات وخلافها من جهة أخرى. هذا يؤشر على علاقة تعاقدية بين قطبي عملية القراءة (النص والقارئ) هدفها صيرورة المعنى، وشكل العلاقة هذا أو تعاقديتها يعد انتصارا للقارئ الذي لا يصير للنص معنى بدونه، ويعد انتصارا للنص الذي يصير متعددا ومتباينا بتعدد القراء وتباينهم الذين يُعوّل عليهم لكيما يَلِجوا، كل بطريقته، غابته، ويكتشفوها، ويجعلوها أكثر ألفة.

تلخيص ما ورد في الفقرتين السابقتين، ببساطة ومباشرة، أن القراءة خلوة بين النص والقارئ، وأن تأويلات النصوص تظل، بل حري أن تظل، متعددة بتعدد

القراء الذين يختلون بنصوصهم. من هنا، لا يوجد تأويل واحد لنص بعينه، ولا يوجد تكوين نموذجي لمعنى واحد للنص؛ ما يراه قارئ تعاطفا مع المرأة في نص ما يمكن أن يراه قارئ آخر قمعا مغرقا في وحشيته لها. الأول يرى الأمر من زاويته ومرجعياته، والثاني يرى الأمر من زاويته ومرجعياته. يجب أن تظل مسألة عدم امتلاك المعنى حاضرة في عاقلة الكل، ويجب الإبقاء على التأويلات مفتوحة، ويجب أن يظل توفير بيئات تعليمية أساسها احترام حق الطلبة في الفهم التفسير بوصلةَ توجيه أثناء تقديم هذه النصوص داخل قاعات الدرس أو خارجها.[19]

## الكتابة

الغرض الآخر من تقديم هذه النصوص هو توفير فرص للطلبة لكيما ينتجوا فقرات ومقالات بحسب الأصول التي قدمت سابقا، متكئين على جملة الأفكار التي تطرح، ومناقشين لها تأييدا أو مخالفة. هذه النصوص توفر فرصا كثيرة لإنتاج فقرات من الأنواع كلها نحو: فقرة السرد، وفقرة الوصف، وفقرة الإيضاح أو التفسير التي تستخدم لإيضاح المفاهيم والمواقف أو تعرض لحقائق أو تقدّم إرشادات لتنفيذ أو إعداد شيء أو تقابل و/أو تقارن بين شيئين أو تبيّن السبب والنتيجة، وفقرة الإقناع التي تستخدم لتوصيل/مشاركة رأي حول موضوع ما لإقناع القارئ بوجهة نظر معينة ودفعه لاتخاذ موقف محدد. توفر هذه النصوص، كذلك، فرصا لكتابةٍ موضوعية أطول نحو المقالة التي تتكون من مجموعة فقرات مترابطة تقارع قضية مركزية تظهر في أطروحتها كما تبيّن آنفا. هي، أي النصوص، توفر فرصا مواتية أخرى للحديث عن تجارب شخصية مرتبطة بأطروحاتها الأساسية التي يمكن أن تثّور تجارب مثل هذه، مسترجعة إياها من أمداء ذاكرات الطلاب القريبة أو البعيدة.

19 لمزيد من التفاصيل انظر: خوري، موسى، **على مدارج القراءة**، القدس: مؤسسة فيصل الحسيني، 2014، ص 30-31.

## الاستماع والمحادثة

يفترض، بعد أن ينجز الطلبة فعل القراءة أن تدور نقاشات (النقاش الشفوي تثوير لمهارتي الاستماع والحديث) داخل غرفة الدرس حول محمول النصوص المقروءة. الأمثل، بطبيعة الحال، أن تكون هذه النقاشات منظمة بعناية من قبل معلم يقوم بدور الميسر الذي يبقي على النصوص مفتوحة دون أن يغلقها على تأويلات محددة أو وموجهة أيديولوجيا. لا يجدر بالمعلم أن يتبنى موقفا يؤثر بسلطته على الطلبة ويجعلهم تابعين. هذا التيسير يجب أن يحتكم لمبدأ احترام وجهات النظر المختلفة، ويجب أن يدعّم فكرة الغنى الثقافي المتباين الذي يحضره الطلبة إلى غرف الدرس، ويجب أن يفعّل مناطق التعلم المثلى لديهم. لا بأس، بالضرورة، من تصويب المفاهيم المغلوطة لدى الطلبة. مضامين هذه النصوص والأرضية الخصبة التي توفرها لتباين وجهات النظر يجب أن تستخدم لخدمة مهارة المناظرة (وهي مهارة شفوية بامتياز)؛ كأن تتبنى مجموعة من الطلبة، تحدد قبلا، وجهة نظر وتدافع عنها أمام مجموعة أخرى تتبنى وجهة نظر مغايرة. من الأهمية بمكان أن تتبادل المجموعات الأدوار، كأن تدافع المجموعة الأولى في جولة المناظرة الثانية عن وجهة النظر التي كانت تقف ضدها في الجولة الأولى. هذه التبادلية تيسر فرصا لمقاربات موضوعية بعيدة عن الذاتية أو الشحن العاطفي، وتهيئ للطلبة فرصا للتعاطف مع وجهات النظر الأخرى أو تفهمها. ليس خفيا أن يقظة المعلم/المعلم لسلامة مخرجات الطلبة لغويا أمر في غاية الأهمية، وليس خفيا أيضا أن التنبه لنبرة الصوت وتذبذبه بحسب المواقف، وإشارات الجسم، واحترام الدور مسائل في غاية الأهمية، ذلك لأن ضبطها يعين على رفع قدرة الطلبة على التواصل بفاعلية أكبر، ويحضرهم للحياة التي لا تخلو من مناظرات هي أساس لكثير من فعل الطلبة في الجامعة الآن وفي أماكن العمل مستقبلا.

## ثانيا: طبيعة هذه النصوص وكيفية إدارتها

هذه نصوص تطرح قضايا إشكالية، ووضعها هنا لا يعني تبنّي مقولاتها من قبل معدي المساق أو الدائرة بالضرورة. الغاية الأساسية من اختيار هذه المقالات هو قدرتها على توفير زانات قفز أو سقالات تأخذ الطلبة باتجاه تفعيل دورهم وفكرهم، ثم دفعهم لإعادة النظر في كثير من المسلمات التي يمكن أن يحظر مجتمع محافظ أو متشدد مقاربتها بشكل أو بآخر.

تعيد المقالة الأولى "التعليم البنكي" من كتاب "نظرات في تربية المعذبين في الأرض" لباولو فريري النظر بدور المعلم الذي يجب أن يرفع التعليم عن ممارسة تضطهد فكر الطلاب وتجعلهم آنية يضخ فيها ما يخدم فكره ومصالحه هو؛ ما يعني تحييد مصالح الطلاب وفكرهم، وتحييد حقيقة أنهم يجب أن يحضروا للحياة النابضة والمتجددة التي يفترض أن تقوم على البحث والمساءلة ومعاودة النظر المستمرة في المسلمات. المقالة تقوم على فكرة أن التعليم المقصي لفكر الطلبة هو تعليم يمارسه المضطهِدون بحق الطلاب "المضطهَدين". والمقالة إذ تقدم هذه الفكرة تحفز ذاكرات الطلبة للحديث عن أنماط التعليم التي خضعوا لها أثناء مرورهم على العتبات الدراسية السابقة، وتؤسس لفهم جديد أساسه أن غرف الدرس منطقة تبادلية يكون فيها الطالب معلما بالقدر الذي يكون فيها متعلما. **ترافق هذه المقالةَ مجموعة أسئلة/أنشطة شفوية وكتابية مقترحة موزعة بين قبلية وبعدية، وهي أسئلة يمكن أن تحاكى مع النصوص الثلاثة الأخرى في هذا الفصل من الكتاب.**

تنحاز المقالة الثانية "من توفيق الحكيم إلى أندريه" المنسولة من كتاب وداد القاضي "مختارات من النثر العربي" لمسألة تقويض التكلف والبهرج والتنميق في اللغة، وتنتصر لإصابة المعنى ببساطة وخفة ومهارة، دون سماجة التكلف وثقل الصناعة اللغوية. ينتصر الحكيم لكل هذا في مقالته دون أن يقلل من الجهد المطلوب في الكتابة، ولا ينسى أن يحيل على كتّاب أعلام وعوا أهمية البساطة والخفة في إصابة المعنى، ويذكّر بضرورة قراءة اللغة العربية في كتب المؤرخين والفلاسفة، لأن عندهم حقيقة ما يقولون، فهم لا يضيعون أوقاتهم في العبث اللفظي والطلاء السطحي، إنما ينتصرون للغة سهلة ومستقيمة، لا لعب

فيها ولا لهو ولا ادعاء. جامع القول في مقالته أن البساطة لا تعني التسطيح، بل تعني قدرة هائلة على استبطان النظام اللغوي وتطويعه لإيصال الرسائل بوضوح وخفة وأناقة.

في النص المنسول من كتاب "الهُويات القاتلة" لأمين معلوف يتم التأكيد على الهوية باعتبار ديمومة تكونها وديناميكيتها، وعلى أهمية الانفتاح على التقاليد اللغوية والثقافية للمجتمعات الأخرى أو الغيرية. يؤكد معلوف في نصه على الهوية ككلٍ لا يقبل التجزؤ، ويؤكد على تمايز الهويات بين شخص وآخر، ما يعني انتصارا للفرد أو الهوية الفردية، لكن دون التقليل من التقاطعات بين هويات الأفراد الذين يشكلون في اجتماعهم ثقافة مشتركة. نلاحظ في هذا النص أن الانتماءات الثقافية أو الهويات ليست شيئا فطريا ولا وراثيا، ولا تتحدد عند الولادة. يختتم معلوف هذا النص بقوله: إن إقصاء الهويات والدفاع عن هوية أحادية يصنع المجرمين عبر عملية استنساخ أخطر ما فيها أنها يمكن أن تكون مباغتة.

في النص الرابع المنسول من كتاب "تجديد الفكر العربي"، يقارع زكي نجيب محمود فكرة أن للماضي في مجتمعاتنا العربية سلطانا على الحاضر، وأن له سحرا ورهبة يقفان عائقا أمام مساءلة تحتاج إلى جرأة تكفل فضّ الأختام السحرية لصناديق هذا القديم. يؤكد محمود أن فض الأختام لا يصير إلا بعد مغالبة الإنسان العربي لنفسه، وإخراج الإعجاب بالقديم عموما من خانة التقديس التي توهمنا بأن كل قديم معصوم عن الخطأ. هذه الحالة تؤدي، بحسب رأي الكاتب، إلى انسدال الحجب الكثيفة بين الإنسان وبين ما جاءت به الأيام من تطورات في العلم والمعرفة، وتجعل مجتمعاتنا مستغرقة في طرز تعليمية، وغيرها بالضرورة، أساسها التلقن والتلقين بدل التعلم والتعليم.

# ثالثاً: النصوص

**تدريب 1:**

**أسئلة ممكنة قبل قراءة النص الأول: نشاط شفوي تناظري**

1. العنوان عتبة النص الأساسية، ويمكن أن يفضي إلى فهم أولي من نوع ما، إلام يفضي عنوان "التعليم البنكي" برأيك؟
2. ما الفرق بين التعليم والتعلّم، وهل يختلف دور المعلّم في الحالتين؟ كيف؟
3. يمكن أن نقول إن المقررات سلطة من نوع ما، ما رأيك؟
4. هل تعتقد أن استطلاع آراء الطلبة في تحديد مكونات المساقات مهم؟ لماذا؟
5. هل يختلف التعليم بين جامعتك الآن ومدرستك؟ كيف؟
6. ما هي طبيعة العلاقة التي تتغياها مع المعلّم؟
7. ما الفرق بين تعليم الامتلاك وتعليم الإطلاق؟
8. كيف يصير التعليم حاضنة لإبداع الطلبة؟
9. هل تتناغم أنماط التعليم مع الثقافة السائدة؟ كيف؟
10. نكتب فقرة وصف لعمل المعلّم في المدرسة، أو نكتب فقرة مقابلة ومقارنة حول تجربتنا في التعليم المدرسي والتعليم الجامعيّ؟

نقرأ الآن نص "التعليم البنكي"، ثم نجيب عن الأسئلة التي تتبع:

## النص الأول التعليم البنكي[20]

سيكشف أي تحليل دقيق للعلاقة بين المعلم والطالب على أي مستوى، داخل المؤسسة التعليمية أو خارجها، عن طابعها السردي. وتشمل هذه العلاقة "فاعلا" (المعلم) يقوم بالسرد و"مفعولا به" أو "أهدافا" (الطلاب) الذين يستمعون بصبر. وتجنح المحتويات، إن كانت قيما أو أبعادا عملية للواقع، إلى أن تصبح، خلال عملية السرد، بلا حياة، محنطة. فالتعليم يعاني من مرض السرد.

يتحدث المعلم عن واقع كأنه جامد بلا حراك، مُجزأ، ويمكن التنبؤ به. أو أنه يُسهب في شرح موضوع غريب للغاية عن التجربة المعاشية للطلاب. فمهمته هي "ملء" الطلاب بمحتويات ما يسرده، محتويات لا صلة لها بالواقع، منفصلة عن "الكل" الذي أدى إلى ولادتها وقد يضفي عليها أهمية. كلمات مُفرغة من "ملموسيتها" أصبحت لغوا فارغا مغتربا ويدفع إلى الاغتراب. الصفة المميزة البارزة لهذا التعليم السردي هي، في الواقع، طنين الكلمات، وليست قوتها وقدرتها على إحداث تحوّل. الطالب يُسجل ويحفظ غيباً، ويردّد هذه الجمل دون أن يفهم، في الواقع، المعاني، أو يدرك الأهمية الحقيقية لما يتلقى.

يؤدي السرد (مع كون المعلم هو الراوي) بالطالب إلى الحفظ غيباً بشكل ميكانيكي ما يروى عليه من محتويات. والأسوأ من ذلك أنه يحيله إلى "وعاء" إلى "إناء" يقوم المعلم "بملئه"، وكلما زاد المعلم من ملء الوعاء، كان المعلم أفضل، وكلما سمح الوعاء، بخنوع، بملئه، كان الطالب أفضل.

هكذا يصبح التعليم عملية "إيداع" يكون الطالب فيها الجهة التي يتم الإيداع فيها، والمعلم هو المودع. وبدلا من أن يقوم المعلم بالتواصل مع الطلاب، يلجأ إلى إصدار البيانات و"إيداع" ما لديه، فيتلقاها الطلاب ويحفظونها غيباً ويرددونها بصبر. هذا هو المفهوم "البنكي" Banking في التعليم، الذي لا يتعدى فيه مجال النشاط المسموح به للطلاب حدود التلقي والامتلاء وتخزين ما يتم

20 فريري، باولو، **نظرات في تربية المعذبين في الأرض**، ت. مازن الحسيني، سوريا: دار التنوير للترجمة والنشر والتوزيع، 2002، ص58-64.

إبداعه. حقاً، تتوافر لهم الفرصة لأن يصبحوا جامعين ومصنفين للأشياء التي يخزنونها. ولكن، في التحليل النهائي، فإن من يجري استبعادهم وتصنيفهم هم الناس، البشر، من خلال الافتقار إلى الخلق والإبداع وغياب التحوّل والمعرفة في هذا النظام غير الموفق (في أحسن الأحوال). ولا يمكن للأشخاص أن يكونوا آدميين حقاً بمعزل عن البحث والممارسة. فالمعرفة تظهر فقط من خلال الاختراع وإعادة الاختراع.

ولكن في المفهوم "البنكي" للتعليم، تعدّ المعرفة هبة يمنحها أولئك الذين يعدّون أنفسهم ضليعين في المعرفة إلى من يعتبرونهم لا يعرفون شيئاً. فإلصاق الجهل المطبق بالآخرين- وهي صفة من صفات أيديولوجية الاضطهاد- تنكر أن التعليم والمعرفة هما عمليتا بحث واستقصاء. وبالتالي يقوم المعلم بتقديم نفسه لطلابه على أنه نقيضهم الضروري، ويعتبر جهلهم مطلقا يبرر وجوده. ويقبل الطلاب جهلهم على أنه يبرر وجود المعلم ولا يكتشفون أبدا أنهم يُعلمون المعلم.

ومن ناحية أخرى، يكمن مبرر وجود "التعليم الحر الإرادة" في توجهه نحو المصالحة. فالتعليم يجب أن يبدأ بحل التناقض بين المعلم والطالب، بالتصالح بين قطبي التناقض، بحيث يصبح في الوقت ذاته معلما وطالبا.

ولا يتوافر (كما لا يمكن أن يتوافر) هذا الحل في المفهوم "البنكي"، بل على العكس يُبقي التعليم "البنكي" على التناقضات، بل يحفزها من خلال المواقف والممارسات الآتية، التي تعكس المجتمع القمعي ككل:

أ. المعلم يُعلم والطلاب يتعلمون.

ب. المعلم يعرف كل شيء والطلاب لا يعرفون شيئاً.

ج. المعلم يفكر والطلاب يجري التفكير بهم.

د. المعلم يتكلم والطلاب يستمعون - بخنوع.

هـ. المعلم يؤدب والطلاب يجري تأديبهم.

و. المعلم يختار ويفرض اختياره والطلاب يمتثلون.

ز. المعلم ينشط والطلاب يتوهمون بأنهم يعملون من خلال عمل المعلم.

ح. المعلم يختار محتويات البرنامج والطلاب (الذين لم تتم استشارتهم) يتكيفون.

ط. المعلم يخلط ما بين سلطة المعرفة وسلطته المهنية التي يطرحها كنقيض لحرية الطلاب.

ي. المعلم هو "الفاعل" في عملية التعليم، بينما الطلاب مجرد أشياء أو "مفعول بهم".

وبالتالي ليس من المستغرب أن المفهوم "البنكي" للتعليم يعتبر الناس كائنات قابلة للتكيف و"القيادة". فكلما ازداد انهماك الطلاب في تخزين ما يتم إيداعه فيهم، قلت إمكانية تطويرهم لوعي انتقادي ينجم عن تدخلهم في العالم كـ "محوّرين" لذلك العالم. وكلما ازداد قبولهم بالدور السلبي المفروض عليهم، جنحوا ببساطة إلى التكيف مع العالم في وضعه، ومع النظرة المجزأة للواقع التي أودعت فيهم.

إن قدرة التعليم "البنكي" على التقليل من، أو القضاء على، قوة الخلق والإبداع لدى الطلاب، وحفز سرعة التصديق لديهم، تخدم مصالح المضطهِدين الذين لا يأبهون للكشف عن العالم أو لرؤيته يتغير. فالمضطهِدون يستخدمون "نزعتهم الإنسانية" للحفاظ على وضع مربح، وهكذا، يردون بشكل غريزي تقريبا معارضين أية تجارب في مجال التعليم من شأنها حفز القدرات الانتقادية.

وفي الواقع، فإن مصالح المضطهِدين تكمن في "تغيير وعي المضطهَدين، وليس الوضع الذي يضطهِدهم". وذلك لأنه كلما ازداد حمل المضطهَدين على التكيف مع الوضع، أصبح من الأسهل السيطرة عليهم. ويستخدم المضطهِدون لتحقيق هذا الهدف مفهوم التعليم "البنكي" مقترنا بجهاز عمل اجتماعي "أبوي". يُطلق من خلاله على المضطهَدين صفة "متلقي المساعدات الاجتماعية". ويتم التعامل معهم كحالات فردية، كأشخاص مهمشين يشذون عن التجمع العام لـ "المجتمع الطيب المنظم والعادل". ويُنظر إلى المضطهَدين على أنهم حالات السقم التي تصيب المجتمع الصحيح المتعافي، ومن ثمّ لا بد من إصلاح "هؤلاء الكسالى غير الصالحين" وحملهم على التكيّف مع ما هو سائد في المجتمع، وذلك بتغيير عقليتهم. فهؤلاء "المهمَشون" يحتاجون إلى أن يجري "استيعابهم" و"دمجهم" في المجتمع الصحي الذي تخلوا عنه.

ولكن الحقيقة هي أن المضطهَدين ليسوا "مهمشين"، إنهم ليسوا أشخاصاً يعيشون "خارج" المجتمع. لقد كانوا دائماً "في الداخل" "في صلب البنية التي جعلت منهم

"كائنات من أجل الآخرين". والحل ليس في "دمجهم" في بنية الاضطهاد، بل في تغيير تلك البنية، بحيث يصبحون "كائنات من أجل أنفسهم". وتغيير كهذا سيقوض بالطبع، أهداف المضطهِدين. لذا كان لجوؤهم إلى استخدام مفهوم التعليم "البنكي" كي يتفادوا تهديد وعي الطلاب.

إن أولئك الذين يستخدمون الطريقة البنكية يفشلون، عن دراية أو عن غيرها، (لأن هنالك العديد من "موظفي البنوك" المعلمين الذين لا يدركون أنهم يقومون فقط بتجريد الطلاب من إنسانيتهم) في إدراك أن "الودائع" نفسها تحتوي على تناقضات فيما يتعلق بالواقع. وقد تؤدي هذه التناقضات بالطلاب السلبيين في السابق، إنْ عاجلا أم آجلا، إلى الانقلاب على عملية تدجينهم، وعلى محاولة تدجين الواقع، إذ قد يكتشفون، من خلال تجربتهم الوجودية، أن طريقة حياتهم الحالية لا تتلاءم مع "وظيفتهم" الخاصة بأن يصبحوا أكثر اكتمالا إنسانيا. وقد يعون من خلال علاقتهم بالواقع أن الواقع عملية حقا، ويتعرض إلى تحول مستمر. وإذا كان الناس باحثين ووظيفتهم الانطولوجية هي "الأنسنة"، فقد يدركون، إنْ عاجلا أم آجلاً، التناقض الذي يسعى التعليم "البنكي" إلى إبقائهم فيه، ومن ثم يشاركون في النضال من أجل تحرير أنفسهم.

ولكن المربي الثوري ذا النزعة الإنسانية لا يستطيع انتظار أن تتحقق هذه الإمكانية. فمنذ البداية لا بد أن تتطابق جهوده مع جهود الطلاب، والاشتراك في التفكير الانتقادي والسعي إلى تحقيق "أنسنة" متبادلة. ويجب أن تتشبع جهوده بثقة عميقة في الناس وفي قوتهم على الخلق والإبداع، ويتعين عليه، كي يحقق ذلك، أن يكون شريكا للطلاب في علاقاته معهم.

كلما ازداد اكتمال تكيف الغالبية مع الأهداف التي تحددها لها الأقلية المهيمنة (تحرمهم بذلك من حق أن يكون لهم أهدافهم الخاصة)، أصبح من الأسهل على الأقلية الاستمرار في الإملاء والتحديد. وتخدم نظرية التعليم "البنكي" وممارسته هذا الهدف بكفاءة تامة. فالدروس الغوغائية، ومقررات القراءة، وأساليب تقييم "المعرفة"، والمسافة بين المعلم ومن يتعلم، ومعايير الترقية، كل ذلك الوارد في الطريقة الجاهزة للتطبيق يخدم هدف تغييب التفكير وطمسه.

ومع ذلك فإن الحياة الإنسانية يصبح لها معنى فقط من خلال التواصل ويكتسب تفكير المعلم مصداقية فقط من خلال مصداقية تفكير الطلاب. المعلم

لا يستطيع التفكير نيابة عن طلابه أو يفرض فكره عليهم، فالتفكير الأصيل لا يجري في عزلة برج عاج، ولكن في حالة تواصل. وإذا كان حقا أن الفكر يكتسب معنى فقط عندما ينجم عن عمل ينصب على العالم، يصبح عندئذ خضوع الطلاب للمعلمين أمرا مستحيلاً.

## تدريبات بعديّة

**تدريب 2:**

**أسئلة مقترحة بعد القراءة**

1. ما المقصود بـ "التعليم البنكي" كما ورد في مقالة باولو فريري؟
2. هل سمعت بِهَرم بلوم؟ في أي المناطق من الهرم يتمركز التعليم البنكي، ولماذا؟
3. ما هي معايير الحكم على أداء الطالب في التعليم البنكي؟
4. كيف تفهم فكرة تقديم التعليم البنكي للواقع مجزءا؟
5. ينظر التعليم البنكي إلى الطلبة باعتبارهم كائنات قابلة للتكيف، علل.
5. ما هي التبعات الممكنة للتعليم البنكي على حياة الطلبة ومستقبلهم؟
6. ربط الكاتب بين التعليم البنكي والاضطهاد، علل.

**تدريب 3:**

**كتابة فقرات منظمة تستثمر الأفكار المركزية في مقالة التعليم البنكي**

1. نكتب فقرة سردية حول دور المعلّم في التعليم البنكي.
2. نكتب فقرة مقابلة ومقارنة بين التعليم البنكي والتعليم الحر.
3. نكتب فقرة محاججة ندافع فيها فيها عن التعليم الحر سبيلا لتطوّر الفرد والمجتمع.

## النص الثاني من توفيق الحكيم إلى أندريه[21]

عزيزي "أندريه" ...

إني الآن غارق في الأدب العربي ... أريد أن أدرس قضيته من أساسها .... أريد أن أعيد النظر في أمر اللغة العربية - لغتي- وأكشف أسرارها وأضع إصبعي على مواطن ضعفها وقوتها... هذا الوقت هو خير وقت أستطيع فيه أن أرى وأميز وأحسن الحكم؛ فلي عينان قد طافتا - منذ أمد ليس بالبعيد- بمختلف الآداب العالمية، ولقد نجحتْ فكرتي حقا... إني أقرأ نصوص هذا الأدب في عصوره المتعاقبة بعين جديدة، عين عامرة بالصور، حافلة بالمقارنات، وبنفس رحيمة عادلة صابرة، تلتمس العلل والأسباب، وتطيل التريث والبحث، قبل أن تصدر الأحكام...

قبل كل شيء أحب أن أقول لك: إن أولئك الذين علمونا اللغة العربية، في المدارس الابتدائية والثانوية، كانوا يجهلون لا معنى اللغة العربية وحدها، بل معنى اللغة على الإطلاق... إنك لن تجد مستنيراً في مصر لا يقول لك إن اللغة العربية- للأسف- قاصرة عن التعبير في شتى ضروب العلوم والفلسفة والتفكير العالي، بل منهم من يقول إنها ليست لغة تفكير، إنما هي لغة بهرج[22] وتنميق. لماذا؟ ... السبب بسيط: هو أن النماذج التي وضعت في أيدينا - ونحن صغار - للبلاغة في اللغة العربية، كانت كتبا غثة[23] المعنى متكلفة المبنى، لو كتب بها شخص اليوم لأثار سخرية الناس ...

نعم... إنهم يعلموننا في المدرسة لغة إذا استعملناها في الحياة ضحك منّا الناس.

كان "جويو" يقول: إن الرشاقة في فنّ الرقص هي أداء الحركة الجثمانية العسيرة دون تكلّف يشعرك بما بذل فيها من مجهود... تلك أولى خصائص الأسلوب السليم في كل فن... حتى الحاوي الماهر هو ذلك الذي يخفي عن الأعين مهارته، ويحدث الأعاجيب في جو من البساطة والبراءة... لعلّ الكاتب الوحيد الذي ضربوه للطلاب مثلاً فصدقوا هو "ابن المقفع"[24] في ترجمته "كليلة ودمنة". هذا كاتب تصنّع في أسلوبه هو الآخر، ولكن بخفة ومهارة، وطلاه وجمّله ولكن

21 القاضي، وداد، **مختارات من النثر العربي**، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1980، ص11-16.

22 البهرج: الرديء من الدراهم وغيرها، والكاتب هنا يعني أنها لغة رونق زائف.

23 الغث: الرديء من كل شيء، أو الهزيل (وضده: السمين).

24 عبد الله بن المقفع (14/ 759) من أصل فارسي، عرف بالترجمة عن الفارسية، وله أيضاً من الكتب: الأدب الكبير.

بذوق وكياسة، فلم يبدُ عليه سماجة التكلّف ولا ثقل الصناعة...

إن "ابن المقفع" يجهد في أسلوبه ليخفي أثر الجهد... إنه تلك الراقصة الرائعة التي تخفي حركاتها العسيرة فلا تبدو لنا منها إلا تموجات رشيقة يسيرة... هذا الكاتب هو على كل حال مثل طيّب للصناعة في الكتابة... على أنك إذا أردت أن تعرف حقا جلال اللغة العربية في بساطتها وسيرها قُدُماً نحو الغرض: فاقرأها عند الفلاسفة والمؤرخين العرب... أولئك عندهم حقيقة ما يقولون، فهم لا يضيعون أوقاتهم وأوقاتنا في العبث اللفظي والطلاء السطحي، إنما هم يحدثوننا في شؤون فكرية واجتماعية ودينية في لغة سهلة مستقيمة، لا لعب فيها ولا لهو ولا ادعاء...

إني لأدهش كيف أن مؤلفين مثل (ابن خلدون) و"الطبري" و"ابن رشد" و"الغزالي"[25] لم يُعرَضوا علينا قط في دراستنا للأدب العربي في المدارس؟... كيف نعرف لغة دون أن نطالع فلاسفتها ومؤرخيها؟ ... أنستطيع معرفة الفكر اللاتيني دون أن نقرأ "سنيكا"[26] و"مارك أوريل"[27] و"تيتوس ليفيوس"[28] و"كورنليوس تاسيت"[29]؟... ولو عرضت علينا صفحة واحدة مع شرحها، لكل فيلسوف بارز، ومؤرخ مشهور من فلاسفة العرب ومؤرخيهم، لتغيّر رأي أكثر المستنيرين عندنا في اللغة العربية، وقدرتها على التعبير عن أدق الأفكار وأعلاها وأعمقها وأنبلها... أوَ ليس بهذه اللغة نقل "ابن رشد" و"ابن سينا" أعمق آراء فلاسفة الإغريق إلى أوروبا المتعطشة للمعرفة؟ ... أنتم معشر الفرنسيين فعلتم ذلك في تدريس الأدب الفرنسي.

ما من كتاب مدرسي "صغر أو كبر" لا يذكر فيه نماذج من أسلوب "مونتاني" وأسلوب "روسو" الاجتماعي و"بوسويه" الديني و"فولتير" التاريخي، بل حتى أسلوب "موليير"[30] الفكاهي أحياناً إلى حدّ التهريج... ذلك أن المدارس الفرنسية

---

25 انظر التعليقات في آخر الكتاب للتعريف بابن خلدون والغزالي وابن رشد، أما الطبري فهو جعفر محمد بن جرير (310/923) المؤرخ صاحب كتاب «أخبار الرسل والملوك» والمفسّر الذي ألف «جامع البيان في تفسير القرآن».

26 سنيكا Seneca – 65 ب. م.: فيلسوف رواقي روماني، كان مؤدباً لنيرون وهو الذي حكم بقتله.

27 مارك أوريل (Marcus Aurelius : 121 – 180): إمبراطور روماني كان رواقيا وله كتاب «التأملات».

28 تيتوس ليفيوس Titus Livius: مؤرخ روماني توفي سنة 17 ب. م.

29 كورنيليوس تاسيت Cornelius Tacitus : مؤرخ روماني توفي حوالي سنة 120 ب.م.

30 مونتاني Montaigne: أديب فرنسي من كتاب المقالة ( 159) وروسو جان جاك (1778): فيلسوف ذو مؤلفات عديدة وبوسوية (1704) أسقف كاتب خطيب، وفولتير (1778) فيلسوف مؤرخ روائي وأحد كتاب المقالة وموليير (1673): كاتب مسرحي وممثل.

أدركت أن تدريس اللغة يجب أن يشمل كل نواحي التعبير بها... أما قَصرُ تعليمها على نماذج البلاغة اللفظية الجوفاء، فهو امتهان لكرامة اللغة وانتقاص من قدرتها على الأداء...

في العربية كاتب متعدد النواحي، له باع طويلة في الجدَ والهزل، هو "الجاحظ".. هذا أيضاً لم نقرأ له سطراً في المدارس... كل كاتب عربي بسيط الأسلوب نافع لنا في الحياة يقصونه عنا إقصاء بحجة أنه غير بليغ، ويأتون إلينا بالكاتب الذي لا ينفع في حياتنا إلا نموذجا لإثارة السخرية. حتى الشعر وهو مفخرة اللغة العربية، الشعر الذي كان يجب أن ترى فيه نفوسنا المتفتحة أول لون من ألوان الفن... ماذا انتخبوا لنا منه؟ ... قصائد المواعظ والحكم...

هنالك حقا نوع من الموعظة والحكمة يعرف الشاعر الحق كيف يلبسها ثوبا من الصور الحسية والذهنية، ترفعها إلى مرتبة الفن العالي... كما فعل "أبو العلاء" و"المتنبي" و"النابغة الذبياني" في بعض قصائدهم، ولكن الفرز والتمييز والتخيّر في هذا الباب يحتاج إلى حاسة فنية لا يملكها القائمون بهذا العمل...

حتى الشعر الموسيقي والشعر التصويري الذي عرضوا علينا بعض نماذجه - في أعمال "البحتري" و "ابن الرومي" على الأخص - لم يكن من خير آثارهما ...

ليس كل شعر فنّاً عالياً، لأنه يعظ أو يصوّر أو يرنّم ، فالشعر الحق هو شيء أبعد كثيرا من مجرد إصابة الأهداف الظاهرة، أو تحقيق الأغراض المباشرة، بل ربما انحطّ الشعر في عرف الفن العالي، لأنه اقتصر على صياغة حكمة أو تصوير منظر أو إحداث جرْس... إنما الشعر الحق قد يتوسل بهذه الأشياء لبلوغ مأرب أسمى: هو الارتفاع بالناس على سحب لا تبْلَغ، والرحيل بهم إلى عوالم لا تنظر ... هو أن يريهم من خلال كلماته البسيطة ووسائله البادية أشياء لم تكن بادية ولا طافية، في محيط ضمائرهم الواعية، هو بالاختصار ذلك السحر الذي يوسع ذاتية الناس، فيرون أبعد مما ترى عيونهم، ويسمعون أكثر مما تسمع آذانهم، ويعون أعمق مما تعي عقولهم ... هذا هو الشعر ... هذا هو المقصود من كلمة "الشعر" في إطلاقها على الفنون كافة ... ما من فنّ عظيم بغير شعر، أي بغير تلك المادة السحرية التي تجعل الناس يدركون بالأثر الفنيّ، ما لا يدركون بحواسهم وملكاتهم ...

لقد أثقلت عليك يا "أندريه" بهذا الحديث في موضوع لا يعنيك كثيرا، ولكن من غيرك أبثّه كل خواطري؟ تحمّل! ...

## النص الثالث الهويات القاتلة[31]

منذ أن غادرت لبنان عام 1975 للاستقرار في فرنسا، كم من مرة سألني البعض عن طيب نية إن كنت أشعر بنفسي "فرنسياً" أم "لبنانياً". وكنت أجيب سائلي على الدوام: "هذا وذاك!". لا حرصاً مني على التوازن والعدل بل لأنني سأكون كاذباً لو قلت غير ذلك. فما يحدّد كياني، وليس كيان شخص آخر، هو أنني أقف على مفترق بين بلدين، ولغتين أو ثلاث لغات، ومجموعة من التقاليد الثقافية. وهذا بالضبط ما يحدّد هويتي. فهل أكون أكثر أصالةً لو استأصلت جزءاً من كياني؟

إلى الذين يطرحون عليّ هذا السؤال، أشرح بصبر وأناة أنني أبصرت النور في لبنان، وعشت فيه حتى سن السابعة والعشرين، وأن العربية هي لغتي الأم، وأنني اكتشفت دوماس وديكنز ورحلات جليفر من خلال الترجمة العربية، وعرفت في قريتي الجبلية، وضيعة أجدادي، أول أفراح الطفولة، وسمعت فيها بعض القصص التي استلهمتها لاحقاً في رواياتي. فكيف أنساه؟ وكيف أنسلخ عنه؟ غير أنني، ومن جهة أخرى، أعيش منذ اثنين وعشرين عاماً على أرض فرنسا، وأشرب ماءها ونبيذها، وتداعب يداي حجارتها العتيقة، وأكتب رواياتي بلغتها، وهي لن تكون أبداً أرضاً غريبة بالنسبة إلي.

هل أنا نصف فرنسي، وبالتالي، نصف لبناني؟ لا أبداً! فالهوية لا تتجزأ، ولا تتوزع مناصفة أو مثالثةً، ولا تصنف في خانات محدّدة ومنفصلة بعضها عن بعض.

وأنا لا أملك هويات متعدّدة بل هوية واحدة مؤلفة من العناصر التي صنعتها وفقاً "لجرعة" خاصة لا تتطابق مطلقاً بين شخص وآخر.

ويحدث، في بعض الأحيان، حين أنتهي من الشرح المستفيض والمطوّل للأسباب المحدّدة التي تدعوني إلى الدفاع عن كل انتماءاتي دفاعاً كاملاً، أن يقترب مني أحدهم ويهمس لي، مربّتاً على كتفي: "أنت محق في قولك هذا، ولكن كيف تشعر في قرارة نفسك؟".

لطالما حملني هذا التساؤل الملح على الابتسام. أما اليوم، فلم أعد أبتسم

31 معلوف، أمين، **الهويات القاتلة**، ت. نهلة بيضون، ط1، بيروت: دار الفارابي، 2004، ص11-16.

إذ إنه يكشف لي عن رؤية بشرية واسعة الانتشار لا تخلو من الخطورة في اعتقادي. فحين يسألني البعض عمّا أكون "في قرارة نفسي". يفترض هذا السؤال أنه يوجد في "قرارة" كل إنسان، انتماء واحد ذو أهمية، هو "حقيقته الدفينة" نوعاً ما، و"جوهره" الذي يتحدّد تحديداً نهائياً عند الولادة ولا يتغير قط، كما لو أن الباقي، بمجمله - أي مساره كإنسان حر، وآراءه المكتسبة، وميوله، وحساسيته الخاصة، وأهواءه، وباختصار، حياته بأكملها - يصبح عديم القيمة. وحين يُشجّع معاصروها على "تأكيد هويتهم"، وهذا ما يحدث حالياً في أغلب الأحيان، فالغاية من ذلك أنه يتوجّب عليهم أن يجدوا في قرارة أنفسهم ذلك الانتماء الجوهري المزعوم الذي غالباً ما يكون دينياً أو قومياً أو عرقياً أو إثنياً، والمفاخرة به أمام الآخرين.

إن كل من يجاهر بهوية أكثر تعقيداً يجد نفسه مهمّشاً، فالشاب الذي ولد في فرنسا لأبوين جزائريين يحمل في داخله انتماءين بدهيين ويفترض به أن يكون قادراً على الاضطلاع بهما على حد سواء. وقد قلت إنهما انتماءان بغرض التوضيح، ولكن مكوّنات شخصيته أكثر تعدداً، سواءً تعلق الأمر باللغة والمعتقدات وأسلوب العيش والروابط الأسرية والأذواق الفنية أو أنواع المأكل لأن التأثيرات العربية والبربرية والإفريقية والإسلامية ... إنها تجربة غنية ومثمرة لو شعر هذا الشاب بحرية عيشها إلى أقصى حدودها، وبالتشجيع على الاضطلاع بكل تنوُّعها. وعلى نقيض ذلك، قد يكون مساره صدمةً قاسية لو اعتبره البعض خائناً بل ومرتداً كلّما أكّد هويته الفرنسية، ولوجد نفسه ضحية التحجّر والريبة أو العداء كلّما جاهر بأصوله الجزائرية.

ويتعقد الوضع كذلك في الضفة الأخرى من نهر الراين. وفي هذا الصدد، يخطر ببالي وضع التركي الذي ولد منذ ثلاثين عاماً قرب فرانكفورت، وعاش طيلة حياته في ألمانيا التي يجيد التكلم بلغتها وكتابتها أفضل من لغة أبويه. إنه لا يعدُّ ألمانياً بالنسبة إلى المجتمع الذي تبنّاه، ولا يعتبر تركياً حقاً بالنسبة إلى مجتمعه الأصلي.

ويفترض المنطق السليم أن يستطيع هذا الشخص المجاهرة بانتمائه المزدوج، ولكن لا شيء في القوانين ولا في الذهنيات يسمح له اليوم بأن يعيش بانسجام هويته المركّبة.

لقد ذكرت الأمثلة الأولى التي خطرت ببالي، وكان بإمكاني أن أذكر الكثير غيرها، كشخص مولود في بلغراد لأم صربية وأب كرواتي، أو امرأة هوتو متزوجة من رجل تونسي، أو العكس، أو رجل أميركي لأب أسود وأم يهودية...

وسوف يرى البعض أن هذه الحالات شديدة الخصوصية. ولكنني، والحق يقال، لا أوافقهم الرأي، فالأشخاص الذين ذكرتهم لتوي لا يملكون وحدهم هوية معقدة. ففي داخل كل إنسان، تلتقي انتماءات متعددة تتصارع فيما بينها، وترغمه على القيام بخيارات مؤلمة. وتبدو المسألة للبعض بدهية للوهلة الأولى، ولكن البعض الآخر يجب أن يبذل جهداً لاستشفافها.

من ذا الذي، في أوروبا المعاصرة، لا يشعر بتمزق سوف يزيد حدةً بالضرورة، بين انتمائه لأمة متعددة العراقة - كفرنسا وإسبانيا والدانمرك وإنكلترة ...- وانتمائه لمجموعة قارية في طور البناء؟ وكم من الأوروبيين يشعرون كذلك، بدءاً من منطقة الباسك وصولاً إلى إسكتلندا، بانتماء قوي وعميق لمنطقة جغرافية ولشعبها وتاريخها ولغتها؟ من في الولايات المتحدة يمكنه تصور موقعه في المجتمع دون الرجوع إلى جذوره السابقة- الإفريقية والإسبانية والإيرلندية واليهودية والإيطالية والبولندية أو غيرها؟

وبعد، فأنا أقرُّ بأن الأمثلة الأولى التي اخترتها تتميز بشيء من الخصوصية، فهي تتعلق جميعها بأشخاص يحملون في أعماقهم انتماءات تتصادم اليوم تصادماً عنيفاً، أشخاص حدوديين نوعاً ما، تخترقهم تصدعات إثنية ودينية أو غيرها. ويتحتم على هؤلاء الأشخاص، بحكم وضعهم هذا بالذات الذي لا أجرؤ على اعتباره "مميزاً"، أن يقوموا بنسج العلاقات، وتبديد سوء التفاهم، ومحاججة البعض، وتهدئة البعض الآخر، وتذليل العقبات، ورأب الصدع... وتقوم مهمتهم على أن يكونوا حلقات وصل وجسوراً ووسطاء بين الجماعات والثقافات المتنوعة...ولهذا السبب تحديداً، تبدو معضلتهم مثقلة بالدلالات: فإذا كان هؤلاء الأشخاص أنفسهم غير قادرين على الاضطلاع بانتماءاتهم المتعددة، ومضطرين على الدوام لاختيار معسكرهم، ومرغمين على العودة إلى صفوف عشيرتهم، يحق لنا عندئذ أن نشعر بالقلق على سيرورة العالم.

"مضطرين للاختيار" و"مرغمين" كما قلت. ولكن من ذا الذي يرغمهم؟ لا المتطرفون والمعادون للأجانب من كل الأصناف فحسب بل أنتم وأنا، وكل واحد

منا، وتحديداً بسبب العادات الفكرية والتعبيرية المترسخة فينا جميعاً، بسبب ذلك التصور الضيق والحصري والمتزمت والتبسيطي الذي يختزل الهوية بكاملها في انتماء واحد يجري الدفاع عنه بضراوة.

لوددتُ أن أصرخ بأننا "نصنع" المجرمين على هذا النحو! وأعترف بأنه تأكيد مباغت بعض الشيء.

## النص الرابع سلطان الماضي على الحاضر[32]

سلطان الماضي على الحاضر هو بمثابة السيطرة يفرضها الموتى على الأحياء، وقد يبدو غريباً أن يكون للموتى مثل هذه السيطرة، مع أنه لم يبق لنا منهم إلا صفحات مرقومة صامتة، لا تمسك بيدها صارماً تجلوه في وجوهنا فيفزعنا كما قد يفعل الأحياء من ذوي السلطان، لكن هذا هو الأمر الواقع، الذي في مستطاعنا أن نفسره، وليس في مستطاعنا أن ننكره.

إن فرنسيس بيكون حين أراد أن يعين ضروب الوهم التي تضلل الإنسان عن الفكر الصحيح، جعل بينها ضرباً أطلق عليه اسم "أوهام المسرح" - ولقد كان بيكون أديباً فيلسوفاً، أو فيلسوفاً أديباً، يصوغ أفكاره في صور مجسدة شأن الشعراء في صياغة اللفظ - فهو هنا قد اختار صورة "المسرح" ليكشّف بها ما يعنيه إذا ما زعم لنا أن للموتى تأثيراً قوياً في نفوسنا، يكاد يلهينا عن حقائق الأمور بما يحدثه فينا من الإيهام، إن النظارة في المسرح يشهدون الممثلين في أثواب الملوك أو الصعاليك، وفي أدوار المحسنين الأبطال أو المسيئين الأنذال، وسرعان ما ينسون أنهم إنما يشهدون رجالاً "يمثلون" الملوك أو الصعاليك، مع أنهم ليسوا بملوك ولا بصعاليك في حيواتهم الحقيقية الواقعة، إن المحسن البطل على المسرح قد يكون في حقيقته أبشع الأشرار خسة ونذالة، كما قد يكون المسيء النذل على المسرح في حقيقة حياته الرجل الطيب المحمود الخصال، لكن هؤلاء النظارة لا يلبثون إذا ما انطفأت الأنوار، وانزاح الستار، وبدأ الممثلون يدخلون أمامهم ويسلكون بما يسلكون وينطقون ما ينطقون، حتى ينسوا نسياناً تاماً أنهم في مسرح، وأن ما أمامهم ليس هو الحقيقة الواقعة بالنسبة إلى أشخاص الممثلين في دنياهم الحقيقية الواقعة.

وهكذا قل في أمر الإنسان إذا ما وجد نفسه حيال فكرة أو عبارة قالها رجل قضى منذ زمن، لكنه ترك وراءه شهرة وسمعة تملأ النفوس بالرهبة، فقد يجد هذا الإنسان عندئذ أن من المتعذر جداً عليه النجاة من سحر هذه الرهبة، وأن أيسر السبل وآمنها من الزلل هو أن يتقبل كل ما قد تركه له سلفه ذاك ذو الشهرة والسمعة، وهيهات أن تجد من الناس من تبلغ به الجرأة أن يفضّ عن الصندوق المسحور ختمه السحري، ليفتحه فإذا هو من الداخل خواء أو

32 محمود، زكي نجيب، **تجديد الفكر العربي**، بيروت: دار الشروق، 1971، ص51-57.

ما يشبه الخواء، وما أكثر ما حكت لنا جداتنا قصصاً عن حجرات مسحورة ملغزة، حين يقال لساكن قصر ورد ذكره في القصة أنه حر في استخدام الغرف جميعاً إلا غرفة مغلقة محرمة عليه، فيتركها مؤمناً أنها لا بد مشتملة على ما تعجز قدراته دون مواجهته والتصرف فيه.

إن للزمن جلالاً أيما جلال، فأين الذي يستطيع الوقوف أمام أطلال الماضي - وهي أطلال - هازئاً ساخراً؟ أين الذي يستطيع أن يعبث بجثث الموتى كما يعبث بقطع من الصخر الجماد؟ إنّ أَوْغَلَ الماديين في النزعة المادية لا يملك إلا أن يتأثر بجلال القدم، برغم علمه التام أن القدم ينبغي أن ينقص من قيمة الشيء لا أن يزيدها، لو كان الأمر كله أمر مادة ومنفعة، فانظر إليه كم يدفع في نسخة من كتاب قديم هلهلته الأيام؟ وكم يدفع في نسخة من هذا الكتاب نفسه وقد أخرجته المطابع صباح اليوم؟ إنه يدفع في النسخة الأولى أضعاف أضعاف ما يدفعه في النسخة الثانية؛ لأنه يتوهم أنه يشتري بماله - بالإضافة إلى الكتاب - امتداداً زمنياً له عنده قيمة يعوض بها مدى حياته القصير.

ذلك كله واقع ولا سبيل إلى نكرانه، وإن الخروج عليه والتصدي له إنما يجيئان بعد مغالبة الإنسان لنفسه ولفطرته، وهذه المغالبة لأهواء النفوس وميول الفطرة هي ما نحن بحاجة إليه، حين يتبين أن تقويم القديم بأكثر من قيمته النفعية لا يقتصر على إشباعه لرغبة رومانسية في نفوسنا، بل يقف في سبيل سيرنا عقبة تحول دون التقدم نحو ما نريد أن نتقدم نحوه من تغيير للفكر وتبديل لأوضاع الحياة.

فما أسرع ما يتحول الأمر عند الإنسان من إعجاب بالقديم إلى تقديس له يوهمه بأن ذلك القديم معصوم عن الخطأ! فعندئذ تنسدل الحجب الكثيفة بين الإنسان وبين ما قد جاءت به الأيام من تطورات في العلم والمعرفة، لقد كان العامل الأول في النهضة الأوروبية هو تحوّل الناس من حالة الاكتفاء بما كتب الأقدمون، إلى كتاب الطبيعة المفتوح لكل من أراد منهم أن يقرأ علماً جديداً، ذلك أن العصور المظلمة كلها، ومن بعدها العصور الوسطى كلها - وهذه وتلك قد امتدتا مع الناس نحو عشرة قرون وقعت بين القرنين الميلاديين الخامس والخامس عشر على وجه التقريب - أقول كانت تلك العصور تدير ثقافتها وفكرها على صحف مكتوبة - بعضها مقدس بحكم العقيدة الدينية، وبعضها

الآخر مكسو بالجلال والرهبة بحكم أنه تراث هبط إلى الناس من أسلافهم الميامين - ولم يكن على المفكر عندئذ إلا أن ينكبّ على تلك الصحف انكباباً، حتى يحللها لفظاً لفظاً، ويكشف لنفسه عمن كمن وراء اللفظ، ولذلك لم يكن ذلك المفكر بحاجة إلى الخروج من الدير أو من الصومعة أو من الدار أو من المكتبة أو من الجامع، ما دامت هذه محتوية على ما يريد مطالعته من صحف - مقدسة أو غير مقدسة - ليستوعب مضموناتها، فإذا كان مفكراً من الطراز الممتاز، أضاف إلى هذا الاستيعاب "شرحاً" جديداً لتلك المضمونات التي طالعها.

وأترك للقارئ أن يقدر لنفسه كم هي النسبة في تراثنا العربي للكتب التي تروي نقلاً عن الآخرين: تارة تختار، وتارة تؤرخ، وطوراً تصنف، فكأنما الطهاة الذين أعدوا الطعام قلّة لا تتجاوز العشرة أو العشرين، ثم تكاثرت حول المائدة ألوف تتسقط الفتات المتناثر، كل يأخذ من هذا الفتات ما وسعت حفنتاه، وإني لألقي ببصري الآن إلى رفوف مكتبة عربية زاخرة: فهذا كتاب في طبقات الشعراء، وهذا في طبقات النحاة، وهذا في طبقات الأدباء، وهذا في طبقات الأطباء، وهذا في طبقات الحفّاظ، وهذا في طبقات الفقهاء، وهذا في طبقات المفسرين، وهذا في طبقات الشافعية، أو في طبقات الحنابلة، وهلم جرا، وأترك تصنيف الطبقات لأنظر إلى ركن آخر، فإذا بالعين تقع على الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع، والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، وسلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، وحلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر.

اجترار من اجترار بعد اجترار، قلت لنفسي وأنا أقلّب النظر في منوعات من "التراث": لماذا لا تفحص مجلداً أو مجلدين من هذه "الكواكب" و"الدرر" لترى ماذا كان يكتب "العلماء" الذين تؤرخ لهم هذه الكتب التي لا تكاد تقع تحت الحصر، وأخذت أستعرض ضروب المؤلفات وصنوف الأعمال التي جعلت من أصحابها "علماء" استحقوا أن تفرد لهم هذه التواريخ كلها، فلم أخرج إلا بما يؤيد فكرة عندي سابقة كنت حصّلتها من انطباعات متناثرة على مر الزمن، وهي أنه - باستثناء أصول قليلة جداً، فيها أصالة وابتكار، هنالك هذه الألوف من المجلدات، التي لا تضيف حرفاً واحداً جديداً، فهي شروح، وشروح للشروح، وتعليق، وتعليق على التعليق، وإني لأستسمح القارئ في أن يصبر معي خمس دقائق، يقرأ فيها هذه القائمة من المؤلفات، التي نقلتها لتكون أمامنا نموذجاً

لنتاج حقبة زمنية في تاريخنا الفكري، ولن أذكر أسماء مؤلفيها - إذ ماذا يجدي في هذا اليباب المتجانس أن تسمى كثبان الرمل بأسماء تميزها كثيباً من كثيب؟ - لكنني سأضعها مجموعات مجموعات، كل مجموعة منها تنتمي إلى أحد "العلماء" البارزين في عصرهم:

- الإسعاد بشرح الإرشاد، الدرر اللوامع بتحرير شرح جمع الجوامع، الفرائد في حل شرح العقائد، المسامرة في شرح المسايرة...
- حواشي على تفسير البيضاوي، حواشي على حاشية شرح التجريد، حواشي على التلويح، شرح على آداب البحث.
- شرح جمع الجوامع، تعليق على الروضة، تعليق على المنهاج، الدر النظيم في أخبار موسى الكليم.
- شرح الآجرومية، شرح الجزرية، شرح مقدمة الهداية في علم الرواية.
- وهذا رجل خلده المؤرخون لأنه "حفظ" الشاطبية، و"سرد" مرة النسب النبوي طرداً وعكساً.
- وهذا آخر خلدوه لأنه قرأ القرآن لفلان، وقرأ السيرة النبوية على فلان، ومسند الإمام الشافعي على فلان، وصحيح مسلم على فلان، وصحيح البخاري... و"تلقن" من فلان وفلان من المشايخ، و"أذنوا له بالتلقين".

وهذه الصفة الأخيرة مفتاح مفيد، لا أقول لذلك العصر وحده، بل هو مفتاح لعصرنا هذا "الحديث" بالدرجة نفسها، فالعلم كله عندنا "يلقن" للمتعلم، فإذا نبغ هذا المتعلم ليصبح - مثلاً - أستاذاً في إحدى الجامعات، "أذنوا له بالتلقين". ولقد عنى القوم - وما نزال في إثرهم نعنى - بعمليتي "التلقن" و "التلقين" لأنها هي عندنا - سلفاً وخلفاً على حد سواء - التعلم والتعليم.

# الفصل الرابع:

# مراجعة الكتب وعرضها

# أولا: مراجعة الكتاب وعرضه

لمراجعات الكتب أهمية كبيرة، فهي تعرّف القارئ الضمني بالكتب التي تتناول حقولا تهمّه. تتوزع مراجعة الكتاب بين العرض المختصر للكتاب والتقييم. في شق العرض يتم تقديم أهم ما ورد في الكتاب تقديما مركزا وموضوعيا، وفي شق التقييم يتم نقد الكتاب نقدا موضوعيا يتعرض لنقاط القوة ونقاط الضعف، وبالتالي لقيمة الكتاب العلمية أو الفنية في الحقل المفترض. **تعيّن جزئية التقييم هذه الفرقَ الجوهري بين مراجعة الكتاب وعرضه أو تلخيصه، فالعرض أو التلخيص لا ينشغل بغير بسط الأفكار الرئيسة في الكتاب، وإثبات المعلومات الببلوغرافية الخاصة به، وتقديم نبذة عن مؤلفه.**

تتباين المراجعات في مسألة تنظيم مسألة التوزع بين العرض والتقييم؛ بعض المراجعات تقدم العرض والنقد في آن واحد، وبعض المراجعات تقدمهما بشكل منفصل. من الأهمية بمكان أن يعرف المراجع أن المراجعة الجيدة لا تعني بالضرورة اختصار الكتاب وفق ترتيب الفصول فيه، بل تعني أن يتم تحديد أهم الأفكار الواردة فيه.

من الأهمية بمكان، قبل الشروع بقراءة الكتاب تحضيرا للمراجعة، أن ينظر كاتب المراجعة في الآتي:

## عنوان الكتاب

عناوين الكتب من العتبات الأساسية التي تفضي إلى النصوص، ويمكن من خلال التأمل في عنوان الكتاب أن نخرج بمجموعة افتراضات مسبقة تكون قابلة للنفي أو الإثبات لاحقا بعد قراءة الكتاب. إن عنوانا نحو «مقدمة في علم الفولكلور» يفضي إلى عدد من الافتراضات المسبّقة حول مادة الكتاب حتى قبل الشروع بقراءة كلمة واحدة. من هذه الافتراضات قارئُ الكتاب المفترض/ درجةُ علمه في الموضوع، وبساطة اللغة التي يجب أن تستخدم لتقريب المفاهيم لمثل هذا القارئ، وطريقة تنظيم تقديم المفاهيم ومراكمتها، إلخ... .

### مقدمة الكتاب

التأمل في مقدمة الكتاب مسألة ضرورية، ذلك لأنها تقدّم معلومات مهمة حول غرض الكاتب من كتابة الكتاب، ولأنها تساعد كاتب المراجعة على تحديد نجاح الكاتب أو فشله لاحقا في التعرض للمسائل التي وعد بالتعرض لها والكيفية التي تم بها ذلك.

### الفهرس

الفهرس عتبة مهمة من عتبات الكتاب كذلك، وهو يعطي فكرة عن هيكلية الكتاب، ويعطي فكرة عن عناصر الموضوع في ذهن الكاتب، ويعكس فهمه لأهمية هذه العناصر وتراتبها، ثم دلالات كل ذلك.

## ثانيا: عناصر المراجعة الناجحة

مراجعة الكتاب الجيدة تتضمن مجموعة العناصر أو الاعتبارات الآتية:

1. تقديم واف لمعلومات الكتاب الببلوغرافية، يظهر في بداية المراجعة (في العادة يكون في أعلى الصفحة الأولى وبخط بارز) على النحو الآتي: اسم الكاتب، عنوان الكتاب، مكان النشر، دار النشر، الطبعة، تاريخ النشر، عدد الصفحات وحجمها.
2. تعريف مختصر بكاتب الكتاب، يركز بشكل أساسي على خلفيته الأيديولوجية، وإنتاجه السابق في حقل الكتاب أو الحقول المجاورة. من خلال هذا التعريف المركز يصير في العادة تحديد حقل الكتاب، ويصير التمهيد لعرض مقولاته وتقييمها.
3. عرض الفكرة أو الأفكار الرئيسة في الكتاب، وإظهار وجهة النظر التي يتبناها الكاتب ومدى اختلاف/توافق وجهة النظر هذه مع المعهود في حقل

الكتاب، وتقديم الجديد الذي أتى به الكتاب من تحليلات أو معلومات، ومقارنته بكتب أخرى في الحقل نفسه.

4. الإضاءة على المصادر الأولية والثانوية التي استخدمت في الكتاب، ثم غنى هذه المصادر وجدتها، وتحديد ما إذا كانت المصادر متوازنة أم منحازة لوجهة نظر بعينها.

5. مقاربة أسلوب الكاتب ولغته، والتعليق على مدى ملاءمتهما لجمهور الكتاب الضمني، كأن تتم مثلا مقاربة وضوح طرح المفاهيم وتسلسلها وبلورتها بشكل واضح، ودرجة اعتماد الكتاب على الخرائط والصور واللوحات لتقريب وجهة النظر وتنظيم الأفكار.

6. الإضاءة على ما حققه هذا الكتاب في الحقل، وبسط النتائج التي توصّل إليها، ثم التنويه إلى مسائل عالقة تحتاج لمزيد من العرض والبحث.

## ملحوظة ختامية:

لا يستطيع المراجع، بالطبع، الخوض في النقاط السابقة كلها ما لم تكن لدية معرفة معمقة في موضوع الكتاب الذي يراجعه، وبكثير الكتب التي صدرت حول الموضوع. ما نطمح إليه هنا أن يلم الطالب، نظريا، بأدبيات مراجعة الكتاب، ذلك لأنه كلما تقدم في حقل تخصصه ورعى نفسه بالتدريب اللازم ازدادت قدرته على إنتاج مراجعات علمية جيدة. قراءة نموذج المراجعة المرفق يجب أن تركز على فنية المراجعة، ومدى التزامها بالأدبيات السابقة، وهدفها رفع قدرة الطلبة على الحكم النقدي على النموذج. غاية ما يجب توقعه في هذه المرحلة الدراسية أن ينتج الطلبة عرضا لكتاب يلتزم بالشروط التي تم بسطها في فقرة سابقة.

## ثالثا: نموذج مراجعة ونموذج عرض

**تدريب 1:**

نقرأ المراجعة الآتية في ضوء ما سبق، ثم نملأ جدول الرّصد المدرج في نهايتها.

### مئة مجزرة منظمة بحق الفلسطينيين: مراجعة كتاب «الكارثة والنهضة والنكبة»[33]

**العنوان: الكارثة والنهضة والنكبة**

**المؤلف: يئير أورون**

**الناشر: ريسلينغ - تل أبيب**

**السنة:** 2013

**عدد الصفحات:** 374

رفضت الرواية التاريخية الرسمية الإسرائيلية للصراع العربي-الإسرائيلي وحرب 1948 الاعتراف بجريمة قيام المنظمات العسكرية الإسرائيلية والجيش الإسرائيلي بطرد الشعب العربي الفلسطيني من وطنه، وادّعت أن العرب الفلسطينيين غادروا فلسطين بمحض إرادتهم. واتخذت السلطات الإسرائيلية في سياق تعزيزها روايتها الرسمية، ولا سيما في العقود الأولى لتأسيس إسرائيل، إجراءات قانونية وإدارية أبقت من خلالها على محاضر اجتماعات الحكومة الإسرائيلية والجيش الإسرائيلي وجميع المؤسسات الإسرائيلية الأخرى ذات الصلة بطرد الفلسطينيين وارتكاب المجازر بحقهم مغلقة في الأرشيفات الإسرائيلية. وقد كشف تحقيق مهم نشرته صحيفة **هآرتس** الإسرائيلية في 18 أيار/ مايو 2013 أن رئيس الحكومة الإسرائيلية ومؤسس إسرائيل دافيد بن

33 محارب، محمود، «مئة مجزرة بحق الفلسطينيين: مراجعة كتاب الكارثة والنهضة والنكبة»، عن موقع المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدوحة، www.dohainstitute.org، واسترجع بتاريخ 15-12-2018.

غوريون لم يكتف بالدعاية الإعلامية الإسرائيلية التي روّجت لأكذوبة مغادرة الفلسطينيين وطنهم سنة 1948 بمحض إرادتهم، وإنما طلب أيضًا من معهد شيلواح سنة 1961، في إثر ضغط الرئيس الأميركي جون كنيدي على إسرائيل بقبول عودة جزء من اللاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم، القيام بفبركة «أبحاث أكاديمية» تثبت أنَّ:

«أ- قيادات عربية في فلسطين وخارجها وهيئات عربية وفلسطينية شجعت العرب الفلسطينيين على الفرار من فلسطين في حرب 1948».

«ب- الجيوش العربية والمتطوعون العرب ساعدوا الفلسطينيين في الهروب، أكان ذلك بإخلائها قرى عربية أم بعلاقاتها السيئة بالفلسطينيين».

«ج- الجيش البريطاني ساعد العرب الفلسطينيين في الهرب في عديد من الأماكن».

«د- مؤسسات ومنظمات يهودية بذلت جهدًا لمنع الهروب».

استجاب معهد (شيلواح) لطلب بن غوريون، وكلّف مجموعة من الباحثين الإسرائيليين القيام بما طلبه بن غوريون بدقة. وكان معهد شيلواح ملائمًا جدًا لتنفيذ ما أراده بن غوريون، فقد أسسته وزارتا الدفاع والخارجية الإسرائيليتان بالتعاون مع الجامعة العبرية، وعمل به المستشرقون الإسرائيليون الذين كانوا يخدمون وقتذاك في المؤسسة الأمنية الإسرائيلية أو سبق لهم أن خدموا فيها. وكان على رأسه عند تأسيسه سنة 1959 الرائد في الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية يتسحاق أورون، وظل هذا المعهد تابعًا للجامعة العبرية إلى أن انتقل إلى جامعة تل أبيب سنة 1965.

بعد عدة عقود على النكبة، ظهر في إسرائيل بعض الكتب والأبحاث التي اختلفت مع الرواية الرسمية الإسرائيلية بشأن حرب 1948، وبدأت تنتقدها وتكشف شيئًا فشيئًا تفاصيل عن حرب 1948 تتناقض مع الرواية التاريخية الإسرائيلية. ويسهم كتاب **الكارثة والنهضة والنكبة** في تعزيز هذا النقد للرواية التاريخية الإسرائيلية، ويدعو إلى اعتراف إسرائيل بالنكبة التي ألحقتها بالشعب الفلسطيني.

يتكوّن هذا الكتاب الذي صدر باللغة العبرية من مقدمة ومدخل وأحد عشر

فصلًا وخاتمة وملحقَين. مؤلفه يئير أورون، أستاذ التاريخ في الجامعة المفتوحة في إسرائيل، وقد صدر له 20 كتابًا اختص قسم منها في حروب الإبادة.

عالجت فصول هذا الكتاب كلًّا من: البحث التاريخي الإسرائيلي الخاص بحرب 1948؛ أطراف الصراع في الحرب؛ اللقاء بين الناجين من الكارثة مع اليشوف اليهودي(*)؛ الموقف الصهيوني من العرب منذ ظهور الصهيونية حتى حرب 1948؛ حضور الكارثة في النكبة؛ تأثير الكارثة في موقف المقاتلين اليهود من العرب في حرب 1948؛ المجازر في حرب 1948؛ النقاش بشأن عودة اللاجئين الفلسطينيين خلال حرب 1948 وبعدها؛ الأوراق الحربية: من أبواب فيلنا إلى مدخل أشدود؛ روايات الحرب ليزهار سميلانسكي؛ العرب والألمان والكارثة؛ أخلاق الحرب - نظرة مقارنة.

سعى المؤلِّف في كتابه إلى تقديم قراءة جديدة لما أُطلق عليه ثالوث الكارثة والنهضة والنكبة كموضوعات مرتبطة بعضها ببعض. ولم يبحث الكتاب في الكارثة أو المحرقة اليهودية، وإنما تمحور حول دراسة تأثير الكارثة في اليشوف اليهودي في فلسطين وفي الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني، ولا سيما في حرب 1948. واستند المؤلِّف إلى مجمل الكتابات التاريخية الإسرائيلية التي عالجت حرب 1948 وإلى الأدب العبري الإسرائيلي الذي انعكست فيه هذه الحرب.

أشار المؤلِّف في مقدمة الكتاب إلى أنَّ إسرائيل بلورت رواية تاريخية وأساطير تأسيسية عن حرب 1948 المرتبطة بالكارثة وبالنهضة، أي بتأسيس إسرائيل. وأبرزت الرواية التاريخية والأساطير الإسرائيلية «بطولة» اليشوف اليهودي في فلسطين، وكيف انتصرت الأقلية على الأكثرية، وتجاهلت «الثقوب السوداء» الكثيرة التي رفضت الرواية التاريخية الإسرائيلية ولا تزال ترفض رؤيتها. واعتبر المؤلِّف أن البحث عن الحقيقة يستوجب رؤية هذه «الثقوب السوداء»، لأن من غير الممكن عيش الحياة في خداع مستمر للذات، ولأن مواجهة الحقيقة، مهما بلغت صعوبتها، تشكّل شرطًا ضروريًا للصحة النفسية الفردية والجماعية (ص 17). وأشار المؤلِّف إلى أن إسرائيل وروايتها التاريخية ما زالتا، على الرغم

* اليشوف، هو الوجود اليهودي في فلسطين، وهي كلمة عبرية تعني التوطّن أو السكّن، وتشير إلى الجماعات اليهودية التي تستوطن فلسطين لأغراض دينية. كان ثمّة يشوف قديم هو الجماعات اليهودية التي كانت تعيش على الصدقات التي ترسلها له جماعات يهودية أخرى، ولم يكن عند أعضاء هذا اليشوف القديم أي مطامع سياسية لأن الغرض من وجوده كان دينيًا محضًا، وكان على علاقة طيبة بالعرب. أمّا اليشوف الجديد -وهو الأكثر استعمالا وشيوعًا- فيشير إلى التجمع الاستيطاني اليهودي الصهيوني قبل قيام دولة إسرائيل، ما بين عامي 1882-1948.

من مرور ستة عقود ونيف على النكبة، تتنكر للحقائق التاريخية، وتسنّ قوانين تهدف إلى محو ذكرى النكبة، وتحاول منع إجراء أي حوار بين روايتها التاريخية والرواية التاريخية الفلسطينية، وتعمل على استمرار فرض روايتها هي، تلك الرواية التي تتنكر لمجرد حدوث النكبة؛ فما زالت إسرائيل تنكر أنها طردت الفلسطينيين من أكثر من 532 مدينة وقرية، وأنها قامت بتدمير معظمها، وبتأسيس كيبوتسات وبلدات ومدن يهودية على أنقاضها، وبتوطين مهاجرين يهود في بيوت القرى والمدن الفلسطينية التي لم تدمرها.

عالج المؤلِّف في الفصل الخامس تأثير الكارثة التي تعرّض لها اليهود في أوروبا فترة الحرب العالمية الثانية في الييشوف اليهودي وفي موقف المقاتلين اليهود تجاه العرب الفلسطينيين في حرب 1948. وذكر أنَّ بن غوريون أدرك مدى تأثير الكارثة في الييشوف اليهودي في فلسطين وفي السعي إلى إقامة الدولة اليهودية فيها. من ناحية، قلص قتل ملايين اليهود بشكل كبير جدًا من أعداد اليهود الذين قد يهاجرون إلى فلسطين، لكن بن غوريون أدرك من ناحية أخرى أن العالم الذي اهتز عندما رأى حجم فظائع الكارثة، سيقف إلى جانب الييشوف اليهودي لتحقيق أهدافه. وأكد المؤلِّف أن الكارثة احتلت مكانًا مهمًا في فكر بن غوريون السياسي وفي كيفية استغلالها واستثمارها لتحقيق أهداف الصهيونية؛ فقد استوعب بن غوريون، وفق ما ذكره المؤلِّف، الإمكانات العظيمة الكامنة في الكارثة ليس فقط لجهة تأثيرها في العالم لناحية دعم أهداف الصهيونية وتأثيرها في اليهود الناجين من الكارثة في الهجرة إلى فلسطين، وإنما أيضًا في تأثيرها في الييشوف اليهودي لناحية تحذيره وإنذاره وشحذ هممه وتعزيز محفزاته للقتال في الحرب ضد الفلسطينيين والعرب لتجنب وقوع كارثة جديدة. وقد أكد بن غوريون مرارًا، في سياق تعبئته للييشوف ولليهود في العالم: «علينا عدم القول أن ما حدث في أوروبا لستة ملايين يهودي لا يمكن أن يحدث لـ 650 ألف يهودي في فلسطين... فقد يحدث في فلسطين ما حدث في أوروبا... إذا لم نستعد بجدية ومن دون تسويف» (ص 108).

استخلص المؤلِّف أن استعمال بن غوريون للكارثة أثّر تأثيرًا كبيرًا في قيادة الييشوف اليهودي وأفراده وقواته المسلحة، وساهم ضمن عوامل أخرى في أن يعتبر الييشوف، قيادة ومجتمعًا، أنه يخوض صراع وجود، فإمّا الانتصار على الفلسطينيين والعرب وإمّا الموت، وما ينتظر الييشوف في حال هزيمته سيكون

شبيهًا بالكارثة التي لحقت بيهود أوروبا.

أشار المؤلِّف إلى أن قيادة المنظمة العسكرية (الهاغانا) وضعت خطة «دالت» موضع التنفيذ عند اشتداد المعارك بين اليشوف والفلسطينيين في آذار/ مارس 1948، وهي الخطة التي تضمنت طرد العرب الفلسطينيين من المناطق التي ستقام عليها الدولة اليهودية في فلسطين. وأفرد المؤلِّف مساحة واسعة لتوجيه النقد إلى اليسار الصهيوني، خاصة حزب مبام وأتباعه في كيبوتسات هاشومير هاتسعير الذين كانوا -كما أكد المؤلِّف- الأكثر ضغطًا ومناداة ومبادرة لطرد العرب الفلسطينيين من قراهم ومدنهم. وأشار المؤلِّف إلى أن حزب مبام الصهيوني اليساري غيّر عمليًا، وإن لم يكن رسميًا، خلال حرب 1948 مطلبه الأساس الذي كان يدعو إلى التعايش بين العرب واليهود، واستبدله بمطلب طرد العرب الفلسطينيين من قراهم ومدنهم. ولم يكتف كيبوتس مشمار هاعيمق مثلًا بمطالبة بن غوريون في الثامن من نيسان/ أبريل 1948 بطرد العرب من المنطقة، وإنما طالب أيضًا بحرقها (ص 113).

أشار المؤلِّف إلى أن بن غوريون أدرك التحول في موقف حزب مبام وكيبوتساته ورحّب به، وقال في 24 تموز/ يوليو 1948 إن قيادة حزب مبام، ذلك الحزب الذي كان برنامجه يدعو إلى الأخوة اليهودية-العربية، أدركت عقم شعار الأخوة هذا، و«رأت أنه يوجد طريق واحد فقط، وهو طرد سكان القرى العربية وحرقها، وقد نفذوا ذلك» (ص 114). علاوة على ذلك، مارس حزب مبام والكيبوتسات التابعة له في الجليل الغربي، وكان تابعًا للدولة العربية الفلسطينية وفق قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 29 تشرين الثاني/ نوفمبر1947، ضغطًا كبيرًا على قيادة الدولة السياسية والعسكرية، وفق ما ذكره المؤلِّف، لاحتلال القرى والبلدات العربية في الجليل الغربي وطرد سكانها العرب منها.

## جرائم إسرائيلية شبيهة بجرائم النازية

أوضح المؤلِّف أن الكارثة اليهودية أثّرت في القيم والأخلاق القتالية للمقاتلين الإسرائيليين، بما في ذلك الناجون اليهود من الكارثة الذين هاجروا إلى إسرائيل وانضموا إلى الجيش الإسرائيلي، فباتوا أكثر قسوة وأشد إجرامًا

(ص 117). وأعطى المؤلِّف الكثير من الأمثلة على الفظائع والعمليات الإجرامية التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي والمنظمات العسكرية ضد العرب الفلسطينيين، من قتل بدم بارد، وإعدام للأسرى وهم مكتوفو الأيدي، واغتصاب للنساء. ومن تلك الأمثلة ما اقترفه الجيش الإسرائيلي من جرائم عند احتلال قرية الصفصاف في الجليل؛ فقد ذكر أحد الجنود الإسرائيليين الذين شاركوا في احتلال الصفصاف أن القرية «رفعت الأعلام البيضاء عند احتلال الجيش الإسرائيلي لها، وجمع الجيش الرجال على حدة والنساء على حدة، وربط أفراد الجيش أيدي خمسين - ستين فلاحًا ثم أطلقوا النار عليهم وقتلوهم جميعًا ثم دفنوهم في حفرة واحدة. ثم اغتصبوا عددًا من النساء». وأضاف أنه رأى «عددًا من النساء مقتولات بالقرب من الغابة وكانت بينهن امرأة مقتولة تمسك في حضنها طفلها المقتول أيضًا» (ص 118). وعندما احتل الجيش الإسرائيلي قرية عيلبون في الجليل، أمر سكانها بمغادرتها. وعندما احتج بعض سكان القرية وقالوا إن طردهم من القرية يتناقض مع المنشورات التي ألقاها الجيش الإسرائيلي عليهم، أطلق الجنود النار عليهم وقتلوا منهم ثلاثين مدنيًا بدم بارد. وللتدليل على مستوى الإجرام الذي وصل الجيش الإسرائيلي إليه في حرب 1948، اقتبس المؤلِّف ما كتبه يوسف نحماني في مذكراته (الموجودة في أرشيف كفار جلعادي، وقد جرى حذفها عندما نشر يوسف فايتس هذه المذكرات سنة 1969 في كتاب حمل اسم: **يوسف نحماني رجل الجليل**) التي قارن فيها بين جرائم الجيش الإسرائيلي وجرائم النازيين في وصفه احتلال قرية الصالحة التي استسلمت ورفعت الأعلام البيضاء؛ فقد كتب يوسف نحماني في مذكراته: «قام الجيش الإسرائيلي بذبح العرب فعلًا بالسكاكين. لقد ذبحوا 60 - 70 رجلًا وامرأة. من أين أتوا بهذه القسوة مثل النازيين؟ لقد تعلموا منهم. قال لي أحد الضباط لقد برز في الأعمال الإجرامية أولئك الجنود الذين جاءوا من المعسكرات [النازية]» (ص 118).

## المجازر في حرب 1948

أشار المؤلِّف إلى أن عدد المجازر التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي والمنظمات العسكرية الإسرائيلية كان أكثر ممّا توقّعه وأشد قسوة ممّا كان يعتقد قبل بحثه في هذا الموضوع. وأوضح أن ارتكاب الجيش الإسرائيلي للجرائم والمجازر وقتل

المدنيين وقتل الأسرى والاغتصاب والسطو على ممتلكات الفلسطينيين، كل ذلك كان أمرًا روتينيًا في حرب 1948. واستند المؤلِّف في عرضه وتحليله للمجازر وعمليات الاغتصاب التي ارتكبتها القوات العسكرية الإسرائيلية إلى الكثير من الكتب والدراسات الإسرائيلية التي كتبها باحثون ومؤرخون إسرائيليون، ولا سيما بِني موريس وإيلان بابِهْ ويوآف غيلبر. وأشار المؤلِّف إلى أن أغلبية الدراسات والكتب التي ألّفها باحثون إسرائيليون وفيها معالجات للمجازر التي ارتكبتها القوات العسكرية الإسرائيلية، تجنبت كشف كل الحقيقة، ودأب قسمها الأعظم على طمس الحقيقة أو إنكار حدوثها. وقد تمشى ذلك مع سياسة المؤسسة الإسرائيلية والرقابة العسكرية التي عملت على إخفاء الحقائق في كل ما يتعلق بجرائم الحرب والمجازر التي ارتكبتها القوات العسكرية الإسرائيلية في حرب 1948. وأشار المؤلِّف إلى أن جزءًا كبيرًا من محاضر جلسات الحكومة الإسرائيلية في الفترة الممتدة من أيار/ مايو 1948 إلى آذار/ مارس 1949 ما زالت مغلقة، لا سيما تلك المحاضر التي تناولت طرد العرب، وتدمير القرى العربية، والمجازر، وعمليات الاغتصاب، وعمليات السطو على الممتلكات العربية ونهبها. واستخلص المؤلِّف أن ذلك كلّه يقود إلى افتراض مفاده أنّ «عمليات طرد العرب، تدمير قرى عربية، أعمال السطو والنهب، الاغتصاب والقتل التي اقترفتها قوات الهاغانا والجيش الإسرائيلي كانت أكثر بكثير ممّا نعرفه حتى الآن»، (ص 176)، والدليل على ذلك -كما ذكر المؤلِّف- هو ظهور حقائق جديدة في السنوات الأخيرة بين الفينة والأخرى بشأن الجرائم والمجازر وأعمال الاغتصاب التي ارتكبتها القوات العسكرية الإسرائيلية بحقّ الفلسطينيين في حرب 1948.

خصص المؤلِّف مساحة واسعة من فصل المجازر في حرب 1948 (ص 129-179) لوصف وتحليل أبرز المجازر التي ارتكبتها القوات العسكرية الإسرائيلية بحق الفلسطينيين، وهي مجازر الطنطورة ودير ياسين واللد وعين زيتون. وقد عرض المؤلِّف المصادر الإسرائيلية التي عالجت هذه المجازر، وبحث في عدد الضحايا الفلسطينيين الذين سقطوا فيها، ووصف كيفية حدوثها وكيفية قتل القوات العسكرية الإسرائيلية المدنيين الفلسطينيين، أطفالًا ونساء ورجالًا، وعرض مذكرات وشهادات إسرائيليين شاهدوا هذه المجازر. وأوضح المؤلِّف الدور البارز لقوات البالماخ (كتائب الانقضاض) التي انتمت الأغلبية العظمى من

قيادتها وضباطها وجنودها إلى اليسار الصهيوني، في ارتكاب معظم هذه المجازر، مثل مجزرتي اللد وعين الزيتون وغيرهما الكثير. واستعرض المؤلِّف مجزرة عين الزيتون التي كُشف النقاب عنها في سنة 1985. وذكر أنه في سياق احتلال القوات الإسرائيلية للجليل الشرقي، احتلت قوات البالماخ في بداية أيار/مايو 1948 قرية عين الزيتون الواقعة بالقرب من صفد ودمرتها وأسرت حوالي 100 عربي وقامت بربط أيديهم وأرجلهم وأبقتهم في الوادي بالقرب من القرية، وبعد مرور يومين قامت البالماخ بقتل جميع هؤلاء الأسرى وهم موثقو الأيدي والأرجل (ص 170)؛ فالقوات العسكرية الإسرائيلية لم تكن تبقي الأسرى على قيد الحياة، وقتل الأسرى العرب كان أمرًا عاديًا وروتينيًا حتى تلك الفترة من الحرب.

عبّر المؤلِّف عن اعتقاده أنه لم يتم الكشف حتى الآن عن جميع المجازر والجرائم التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي في حرب 1948. ونقل المؤلِّف عن الباحث الإسرائيلي دان ياهف تأكيده أنه كان معروفًا حتى عام 2002 حدوث عشرين مجزرة بحق الفلسطينيين، وبعد ذلك بسنوات قليلة كشف النقاب عن ثماني مجازر جديدة لم تكن معروفة من قبل. وذكر المؤلِّف أن المدير السابق لأرشيف الجيش الإسرائيلي أرييه يتسحاقي أكد أن القوات العسكرية الإسرائيلية ارتكبت عشر مجازر كبيرة ذهب ضحية كل واحدة منها أكثر من 50 فلسطينيًا، ومئة مجزرة صغيرة قُتل في كلٍّ منها أقل من 50 فلسطينيًا (ص 313).

## اغتصاب النساء الفلسطينيات

أفرد المؤلِّف في كتابه حيّزًا للبحث في ظاهرة اغتصاب جنود وضباط من الجيش الإسرائيلي نساء وفتيات فلسطينيات في حرب 1948، فأشار، استنادًا إلى مؤرّخين إسرائيليين، ولا سيما بِني مورس، إلى جرائم اغتصاب ارتكبها جنود وضباط إسرائيليون في 12 مدينة وقرية فلسطينية على الأقل. وكان الجنود والضباط الذين ارتكبوا هذه الجرائم من خلفيات مختلفة، فبعضهم كان من الناجين من معسكرات الاعتقال النازي، وبعضهم الآخر كان من الييشوف اليهودي في فلسطين. وكان نمط الاغتصاب يتكرر مرة تلو أخرى، إذ تقوم مجموعة من الضباط والجنود الإسرائيليون باغتصاب عدد من النساء أو الفتيات الفلسطينيات عند احتلال القرية أو المدينة ثم تعمد إلى قتلهن.

ويرى المؤلِّف أنه لم يتم حتى الآن الكشف عن مجمل جرائم اغتصاب النساء الفلسطينيات التي ارتكبها جنود وضباط من الجيش الإسرائيلي في حرب 1948، لأن الملفّات التي عالجت هذه الظاهرة ما زالت مغلقة حتى الآن رغم مرور ستة عقود ونيف على هذه الجرائم.

عرض المؤلِّف بالتفصيل لجريمة كُشف النقاب عنها في سنة 2005، قام فيها عشرات الضباط والجنود في الجيش الإسرائيلي باغتصاب فتاة عربية فلسطينية من النقب. وتدلّ هذه الجريمة على القيم والممارسات التي كانت سائدة في الجيش الإسرائيلي خلال حرب 1948 تجاه هذه المسألة. وذكر المؤلِّف أن قوات الجيش الإسرائيلي كانت بعد احتلالها لمنطقة النقب في جنوب فلسطين تقوم بعمليات قتل وتطهير عرقي ضد العرب الفلسطينيين، بناء على أوامر شفوية في البداية ومن ثم أوامر مكتوبة من قيادة الجيش الإسرائيلي (ص 134). وذكر المؤلِّف أنه في 12 آب/ أغسطس 1949، صادفت وحدة آلية من الجيش الإسرائيلي عربيًا فأطلقت النار عليه وأردته قتيلًا. وصادفت بعد ذلك بقليل رجلين عربيين وفتاة عربية، فأرغمت الرجلين على الفرار واعتقلت الفتاة العربية التي لم تكن سنّها تتجاوز 15 سنة. وفي أثناء عودتها إلى قاعدتها العسكرية، مرت بقطيع من الجمال يزيد عددها على 60 جملًا فأطلقت النار عليها وقتلتها. وعند وصول الوحدة العسكرية إلى قاعدتها في نيريم في النقب جرّد جنود من الجيش الإسرائيلي الفتاة العربية من جميع ملابسها، وأحرقوا الملابس، ثم غسلوا الفتاة وقصوا شعرها، وجرى كل ذلك أمام عشرات الضباط والجنود الموجودين في القاعدة العسكرية. وبعد ذلك، أمر قائد القاعدة العسكرية بجعل الفتاة العربية «جارية جنس» لجنود وضباط القاعدة. وفعلًا اغتصبها عشرات الضباط والجنود. وبعد أن أشبعوا غرائزهم الوحشية أمر قائد القاعدة بنقل الفتاة العربية بسيارة إلى بعد 500 متر وقتلها ودفنها هناك، ونُفّذ الأمر (ص 134-135).

أكد المؤلِّف في خاتمة كتابه أن جنودًا وضباطًا في الجيش الإسرائيلي ارتكبوا مجازر وفظائع في حرب 1948 ضد الفلسطينيين، وأن أحدًا منهم لم يقدَّم للمحاكمة، وأن القوات الإسرائيلية المسلحة قامت بعمليات تطهير عرقي في مناطق مختلفة من فلسطين المخصصة لقيام الدولة اليهودية، وأن طرد الفلسطينيين وعمليات التطهير العرقي جرت وفق سياسة الحكومة الإسرائيلية واستراتيجيتها.

## جدول الرصد

| السؤال | نعم/لا | أين؟ وكيف؟ |
|---|---|---|
| 1. هل قدم كاتب المراجعة معلومات الكتاب البيلوغرافية؟ | نعم | أبيّن ذلك في النص |
| 2. هل تحدث كاتب المراجعة عن عتبة العنوان، وإفضاءاتها، وتناسبها مع محتوى الكتاب؟ | نعم | أبيّن ذلك في النص |
| 3. هل أشار كاتب المراجعة إلى المحتويات في فهرس الكتاب؟ | نعم | أبيّن ذلك في النص |
| 4. هل تطرق كاتب المراجعة إلى مضمون مقدمة الكتاب؟ | نعم | أبيّن ذلك في النص |
| 5. هل عرّف كاتب المراجعة بكاتب الكتاب وإنتاجه؟ | نعم | أبيّن ذلك في النص |
| 6. هل حدد كاتب المراجعة حقل الكتاب الدقيق؟ | نعم | أبيّن ذلك في النص |
| 7. هل التزم كاتب المراجعة بعرض محتويات فصول الكتاب كلها؟ كيف؟ | لا | أبيّن ذلك في النص |
| 8. هل بيّن كاتب المراجعة وجهة/وجهات نظر الكاتب وقارنها بوجهات نظر أخرى؟ | لا | أبيّن ذلك في النص |
| 9. هل تحدث كاتب المراجعة عن غنى مصادر الكتاب وتنوعها؟ كيف؟ | نعم | أبيّن ذلك في النص |
| 10. هل أشار كاتب المراجعة إلى ما حققه الكتاب في حقله المفترض؟ | نعم | أبيّن ذلك في النص |

# الفصل الخامس:

# تحليل النصوص الأدبية - القصة القصيرة

# أولا: المهارات اللغوية وقراءة النصوص الأدبية

سيتعرض الطلبة في هذا الباب لمجموعة من القصص القصيرة، والهدف الأساس من هذه القصص، إضافة إلى رفع الكفاية في قراءة الأعمال الأدبية وفهمها وتفسيرها، هو توفير فرص مواتية للمتعلمين حتى يمارسوا ويطوروا مهاراتهم اللغوية في الحديث والاستماع والقراءة والكتابة.

من المفضل أن يقوم المتعلمون بقراءة النصوص (القصص القصيرة) في البيت أولا، ثم الحضور إلى غرف الدرس بهدف المشاركة الفاعلة التي يفترض أن يقوم المعلم، باعتباره ميسرا لعملية التعلم، بتوفير أجوائها وإدارتها. من الأهمية بمكان أن يعي المتعلّم والمعلّم معا بأن النصوص الأدبية الجيدة تظل نصوصا مفتوحة على تأويلات تختلف باختلاف خلفيات المقاربين لها؛ الأمر الذي يستدعي انفتاحا على ما يحضره الطلبة، بلغة التربية الحديثة، من خبرات تختلف باختلاف الاستعدادات اللغوية والأدبية، وتباين الأذواق، واختلاف القناعات.

# ثانيا: القصة القصيرة، تعريفها وعناصرها

## تعريفها

القصة القصيرة نوع أدبي سردي حديث نسبيا، بدأ ينتشر في عالمنا العربي زمن بروز الصحافة مع نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. ليس للقصة القصيرة طول محدد، سوى أنها لا تنشر منفردة -لقصرها- في كتاب.

عدد الشخصيات في القصة القصيرة محدود جدا، وقد لا يتجاوز الشخصيتين في أغلب الأحوال. تنفتح الشخصية في القصة أمام القارئ من خلال انخراطها في الحدث الدرامي المتاح؛ لكن قلما تُقدَّم - وبحكم الاقتصاد والتركيز كعلامتين فارقتين من علامات القصص القصيرة - من جوانبها كافة. هذا لا يعني أن القصة القصيرة في تركيزها واقتصادها تعجز عن تقديم معالجة معمقة للشخصية والموضوع، هي تفعل ذلك لكن في حدود ما رأى كاتبها أن يركز عليه، وفي حدود ضمان خلق نوع من وحدة الأثر التي هي علامة القصة القصيرة الفارقة بامتياز.

## عناصرها

عندما يصير الحديث حول القصة، تظل العناصر الآتية الأكثر تداولا بين دارسي هذا النوع الأدبي القصير:

### أ- المشهد

مشهد القصة القصيرة هو زمانها ومكانها. والمشهد في بعض القصص مركزي للغاية، وفي قصص أخرى ليس كذلك. في القصص التي تقارع الهم الفلسطيني من نكبة ونكسة ومتعلقاتهما من تهجير وشتات، يصير للمشهد دور مركزي في القصة. في القصص التي تقارع مسائل نفسية أو صراعات داخلية من نوع الإدمان على المخدرات ومقاومة هذا الإدمان وتحقق الخلاص منه، يمكن أن نرى المشهد متنحيا لحساب عناصر أخرى، أو يمكن أن نراه أقل مركزية من قصص الشتات مثلا.

الآتي أسئلة ممكنة حول المكان والزمان، وهذه الأسئلة تساعد المتعلم على فهم أعمق لمشهد القصة:

- أين المسرح الجغرافي للأحداث في القصة، وما دلالات ذلك؟
- هل تختلف، على سبيل المثال، مشاهد القرية عن مشاهد المدينة، وما دلالات ذلك؟

- متى وقعت الأحداث، أو في أي حقبة، وما أثر ذلك ودلالاته؟
- هل يركز الكاتب على الطقس (شتاء ربيع صيف خريف)، وما أثر ذلك ودلالاته؟
- ما الظروف الاجتماعية والثقافية للحقبة التاريخية التي تدور فيها أحداث القصة (عصر الانتفاضة الأولى مقابل عصر أوسلو مثلا).

## ب- الحبكة أو العقدة

الحبكة أو العقدة هي الطريقة/الكيفية التي نظم بها الكاتب الأحداث في تسلسل مُسَبّب بغية تطوير الفكرة الرئيسة. من الأهمية بمكان أن ينظر القارئ في الكيفية التي قدم أو أخّر بها الكاتب ظهور الأحداث، ثم دلالات ذلك.

للحبكة أو العقدة عناصر هي:

- المقدمة: بداية القصة، ودخول الشخصيات.
- التأزم والصعود: تقديم نوع من الصراع، وتعقد الأحداث، وتعالقها السببي ما بين المقدمة والذروة.
- الذروة: النقطة التي يتعمّق عندها سؤال ماذا سيحدث الآن، أو هل ستحل المشكلة؟
- الحل.

## ت- الصراع

الصراع مهم للحبكة، وبدون صراع من نوع ما لا يوجد حبكة. هناك أنواع مختلفة من الصراعات:

- صراع خارجي: صراع مع قوة خارج الذات (ضد أفكار ومعتقدات، المصير أو المقدر، الطبيعة، ...).
- صراع داخلي: صراع الإنسان مع ذاته (صنع قرار، تجاوز ألم، التخلّص من عادة، كبح رغبة، عقد نفسية موروثة، ...).

### ث- الشخصيات

ذلك يعني الشخصية/الشخصيات في القصة، وأوصاف هذه الشخصية/الشخصيات. تتوزع الشخصيات في العادة على نوعين: الشخصية البطل أو المحور، والشخصية الضد. والعلامات الفارقة للشخصيات تقدم من خلال:

- وصف المظهر الخارجي للشخصية.
- ما تقوله/ تؤمن به/ تحلم به الشخصية.
- ما تقوم به/ لا تقوم به الشخصية.
- ما يقوله الآخرون في القصة عن الشخصية أو كيف يفكرون فيها.
- ما يقدمه الرواي من ملاحظات حول الشخصية.

تتقسم الشخصيات على مستوى التطور إلى قسمين:

- متطوّرة: تغييرات كثيرة تطرأ للأفضل أو الأسوأ على الشخصية.
- ثابتة: الشخصية نمطية، قابلة للتوقع، ولا تتغير.

### ج- وجهة النظر

وجهة النظر هي الزاوية التي يتم من خلالها سرد القصة:

- العين البريئة: كأن يتم مثلا سرد القصة من خلال عيني طفل (وجهة نظر تختلف عن وجهة نظر البالغين).
- تيار الوعي: السرد يصير وكأن القارئ يدخل إلى رأس الشخصية ويتعرف على أفكارها وأفعالها.
- السرد بضمير المتكلّم: السرد يقوم به البطل أو شخصيات تفعل إلى جانبه. القارئ يرى القصة من خلال عين هذا الراوي.
- الراوي العليم: يستخدم السرد بضمير الغائب، ويتنقل بين شخصية وشخصية، وتكون له قدرة على اختراق رؤوس الشخصيات ومعرفة عوالمها الجوانية.

أحيانا يكون للراوي العليم دور مقتصر على التسجيل، فهو يتنقل مثل الكاميرا بين مشهد ومشهد، ويسجل ما يسمع ويرى دون أن يعلق على فعل الشخصيات أو قولها. يترك هذا الرواي للقارئ أن يتوقع وأن يفسر ويحلل، وأن يخرج برأي أو موقف بعد الانتهاء من قراءة القصة.

### ح- الثيمة (الأطروحة) الفكرة من كتابة القصة

الثيمة أو الأطروحة هي الفكرة الناظمة في النص، يمكن أن تكون الفكرة وجهة نظر كاتب القصة القصيرة في أمر من أمور الحياة، أو موقف سياسي أو اجتماعي أو ثقافي أو خلافه.

## ثالثا: النماذج

الآتي ثلاث قصص قصيرة، الأولى بعنوان «سأتعشى الليلة» لسميرة عزام، والثانية «صورة شاكيرا» لمحمود شقير، والثالثة « وجه جديد» لحليم بركات. تلحق القصة الأولى مجموعة أسئلة مقترحة موزعة بين شفوية وكتابية، ويمكن أن تحاكى عند مقاربة قصص محمود شقير وحليم بركات.

## سأتعشّى الليلة[35]

قالها وهو يصب على الجمرات من إبريق الماء فيطفئها ويجمع الأسياخ ويربطها حزمة ويلقي بنتف اللحم إلى الهررة المتجمعة ثمّ يرجو رجلاً ماراً أن يساعده في إسناد العربة إلى الحائط.

سأتعشى!

وتحلّب فمه بعد أن اطمأن إلى رغيفين في جيبه حشاهما بقطع اللّحم، رغيفين كما أوصاه (جمعة) بائع (المعاليق)، وبضع قطع فضية دفعها إليه الشارون هي أمانة يردها في الغد إلى صاحبها ويستبقي لنفسه منها خمسين فلساً يعطيها لأمه مع الرغيفين....

ولما حمل نفسه على عكازه شعر لأول مرّة بأنه أكثر خفة من المعتاد وأنه قوي كالآخرين، وأنه جائع يستحق أن يتعشّى ...

طالما تعشى قبل الليلة، إذ لم تكن أمه تنساه حين تضع الطبق الوحيد الذي تحمله من البيوت على الركيزة الخشبية وتأتي تلح عليه أن يقوم، فيقوم ويجلس مكوما وتناوله أمه بضعة من رغيف يضعها على حجره ويروح يقضمها متباطئاً ويرى أمه وأخته تحركان فكيهما بقوة وشهية فيراهما أحق منه باللقمات لتعوّض شقاء نهار طويل في خدمة الناس، وتلك لتحس بالشبع فلا يدفعها الجوع للتسكع.

فكيف هو غير شبعان ويعطي بقية كسرته لأخته لتأتي عليها في لقمة واحدة كبيرة أو لقمتين تمسح بعدها فمها وتكرع نصف ابريق الماء.

وبلغ الباب فلم يقصد زاويته المعتادة ليتكوم فيها، بل وقف متكئا إلى الحائط ونادى أمه فأعطاها الرغيفين والخمسين فلسا وقطع عليها سؤالها قائلاً:

من أين؟ لقد اشتغلت اليوم... لماذا لا أعمل؟ ألا أملك يدين؟

قالها وقد نسي أنه يستخدم يديه في الشد على عكازين يحملانه، وبدونهما لا يمكن له أن يمشي... ما أروع أن يعمل الإنسان، أي عمل..

35 عزام، سميرة، **الظل الكبير**، ط2، عكا: دار الأسوار، 1987، ص 25-30.

وأغمض عينيه وتمنى لو يكون غده كاليوم فقد أحس للحياة طعماً لا يخلو من حلاوة.

كان قبل اليوم يسعى مع الصباح فتتبعه أخته بالكرسي الواطئ العتيق فيجر نفسه إلى الرصيف غير بعيد من البيت فيريح عكازيه على الأرض أو يضعهما وراءه على الحائط، ويمكث ساعات وساعات يتفرج باهتمام على الناس، ألوان كثيرة منهم، صبية وبنات ينطلقون إلى مدارسهم، رجال إلى حوانيتهم، عمال يعرفون بثيابهم الزرقاء العتيقة ولفّات الزاد في أيديهم، يمضون إلى أعمالهم ماشين على الأرض أو متعلقين بالحافلة، منعمون تختال بهم سيارات كبيرة حمراء سوداء خضراء، باعة ينادون على الخضار والكعك والثياب القديمة والأواني المنزلية، صغار يسرحون بأوراق اليانصيب وعلب العلك الأمريكي.

دنيا يستطيع أن يحسها، يراها تتحرك وتركض أمام عينيه ويكاد يرى الناس جميعا تلفهم الدوامة نساءً ورجالاً، كباراً وصغاراً، مترفين وأشقياء... جميعاً إلا هو، إلا هو.

وتظل الحركة والضجيج في أوجهما ثم تخمد الأصوات وتحمى الشمس كثيراً وتنصب على رأسه بقسوة فيجر كرسيه قليلاً قليلاً، حتى يدنو من (جمعة) فيجلس في ظل عربة الشواء ويرقب الرجل وهو يقطع اللحم ويدندن لحناً عتيقاً لا يعرف سواه.. ويقلب أسياخه على النار ويسخن الأرغفة التي يتلقفها الغرباء الوافدون وسائقو السيارات والسماسرة، ويأكلونها واقفين ثمّ تمتد أيديهم للاناء الفخاري فيشربون ويدفعون وينطلقون في سبيلهم من جديد.

وتظل الحركة هكذا حتى ينفد ما لدى (جمعة) من لحم وتبلغ الشمس مكان العربة فيقوم عنها يلتمس ركناً ظليلاً ينام فيه قليلاً أو لا ينام حتى يهبط المساء ويتسلق الشيخ الأعمى مئذنة الناحية ويرتفع صوته الجميل مؤذناً للمساء. ويعود للمكان ضجيجه بعودة الصبية وصغار العمال يتمازحون بالشتائم ويتعاركون كأبطال السينما ويدخنون اللفائف.

وتكون قد حانت أوبة أمه من البيوت فيراها تنفذ من الباب الخشبي المخلع تحمل بيمينها طبقاً تغطيه بطرف النقاب الأبيض الذي يستر شعرها..... عندها يحس بأن يومه قد انتهى فيقوم على عكازيه وللجوع في بطنه لذعات.. وينطوي من حياته يوم.

وكثيراً ما تمنى لو يحدث ما يلوّن أيامه، ما يخلق فيها الإثارات فلا يحس معها هذا الطول ولا هذا الفراغ ولا هذه التفاهة، ولا أنه متطفل على لقيمات أمه.

سألها مرة في ضراعة أن تصنع له صنفاً من الحلوى يبيعه للصغار فأجابته مشفقة: أنت تشتغل؟ وهل تقوى على اللحاق بصبي فيما لو مد يده إلى الصينية واختطف شيئاً؟

حقاً كيف لم يفكر في هذا من قبل... لقد صدقت! هل يقوى؟ وسكت وظل قابعاً يتثاءب أيامه -أو إذا شاء أن يلونها- يعد السيارات، ويتذكر عكازه كلما رأى صبيا يركض، ويتعلق بصره بأذيال المارة صفوفا صفوفا من أمامه. واليوم فقط -ولأول مرة- لم يمارس إحساساته الرتيبة ولم يمضه طول الوقت ولم تلذعه الحرارة إذ كان قريباً من (جمعة) فجاء أحد أقرباء هذا وأسر إليه شيئاً بدا عليه بعده الاضطراب وصاح: اذهب؟ وماذا أفعل بأكوام اللحم هذه؟ أأدعها للكلاب؟ والتفت هو وأدرك بحدسه أن هنالك ما يستدعي ذهاب (جمعة) فتطلع إليه بضراعة وكأنه يذكره بوجوده... فنظر إليه (جمعة) قليلاً ثمّ سأله:

- أواثق أنت من أنك تستطيع؟

فقام يقفز على عكازيه وهو يؤكد ويقسم.

وهكذا باع واشترى وأخذ وأعطى ولم يعاكسه الصبية والشارون بل ولم يحاولوا أن ينكروا عليه الثمن.

سترى أمه بأنه ليس عاجزاً كما تظن، وأنه يستطيع أن يعمل وأن يكسب وأن يعيش.

ومنذ الساعة يجب أن يفكر في شيء يحترفه.

فبعد اليوم لن يعيش على لقيمات أمه.

وكان يستمع بجذل ونشوة حين كانت أخته تسأل: أمي! من أين جاء أخي بالنقود؟ فقالت الأم وفمها الكبير ينفرج عن ابتسامة: لقد اشتغل.

ولم يستمهلها حتى تلف النقود في خرقة تدفنها بين ثدييها بل راح يتكلف الجد ويصيح: أمي... ألا تسمعين؟ سأتعشى الليلة!!

## تدريبات

**أولا: نجيب عن الأسئلة الآتية في ضوء ما تقدم عن عناصر القصة**

1. نحدد المكان ونحدد الزمان في القصة.
2. ليس وضع بطل القصة الذي يعاني من إعاقة حركية في زمان القصة ومكانها المختارين خاليا من الدلالات، نعلل.
3. تتوزع الصراعات في القصة بين داخلية وخارجية متعالقة، نعلل.
4. نحدد الفرق بين الحبكة الطولية وغير الطولية، ونبين نوع حبكة "سأتعشى الليلة".
5. ليست الكتابة عملا بريئا، وغياب اسم البطل واسم المدينة يؤشر على ذلك، نعلل.
6. لم تختر الكاتبة مشهدا قرويا لقصتها، لماذا برأيك؟
7. شخصية الأم شخصير نامية، كيف؟

**ثانيا: نكتب فقرات منظمة (جملة ضابطة وجمل داعمة) حول:**

1. مشهد القصة (زمانها ومكانها)، وكيف خدم هذا العنصر بدلالاته ثيمة القصة.
2. صراعات البطل الداخلية والخارجية مع التركيز على الخلفية المشهدية.
3. تحولات موقف الأم بين بداية القصة ونهايتها.

## صورة شاكيرا[36]

للمرّة السابعة، يرابط ابن عمي على باب مكتب الداخلية الإسرائيلية، لتجديد الوثيقة التي لولاها لما استطاع السفر عبر المطار. اعتاد أن يأتي في الساعة السادسة صباحاً، يفاجأ بطابور طويل من الناس الذين جاء بعضهم بعد منتصف الليل بقليل. أخيراً، لجأ إلى منظمة إسرائيلية غير حكومية، تبنى مديرها الموضوع للمرة الأولى والأخيرة، واستطاع أن يحجز موعداً لابن عمي للدخول إلى المبنى الذي يتعذّب أبناء القدس على بابه منذ سنوات.

جاء ابن عمي إلى مكتب الداخلية هذه المرّة وهو أكثر ثقة بنفسه، لأنه والحقُّ يقال، كاد يكفر بكل شيء كلما وجد نفسه محشوراً بين حشد من الناس المتدافعين دون تهذيب، بل أنه كاد يشتبك بالأيدي مع شابين، قاما بتخطّي كل الناس، بمن فيهم ابن عمي. ابن عمي اختصر الشر، وترك الشابين يفعلان ما يريدان، ولم يحدث أحداً غيري عن معاناته، لأنه معني بأن يظل أهل الحي مقتنعين بأنه ذو بأس، ولا يُغلق في وجهه أيّ باب.

صاح الحارس من خلف شبك الحديد: طلحة شاكيرات! ردّ ابن عمي في الحال: نعم، نعم، أنا طلحة شاكيرات. فتح الحارس الباب لابن عمي، الذي اجتاز الباب باعتداد وسط حسد الحشد المنتظر منذ ساعات. حدق الحارس في ابن عمي لحظة، ثمّ سأله: شاكيرات! هل تعرف شاكيرا؟ لم يتأخر ابن عمي عن الإجابة لحظة واحدة: طبعاً، إنها واحدة من بنات العائلة. بدا الحارس مبهوراً بالأمر: أنا معجب بأغانيها، هل تعرف ذلك؟ قال ابن عمي: من أين لي أن أعرف؟ لكنني سأهديك بعض أغانيها التي أرسلتها لي قبل أسابيع. مدّ ابن عمي يده لمصافحة الحارس، مدّ الحارس يده وقال: أنا روني. قال ابن عمي: أنا طلحة شاكيرات. ثم صعد درجات المبنى وهو مسرور لهذه العلاقة التي مهّدها له اسم شاكيرا، وأبدى امتناناً لجدّه شاكيرات الذي شاءت الصدف أن يحمل هذا الاسم بالذات، وإلا لظلت شاكيرا بعيدة عن التأثير في مصيره، ولما أتيح له أن يبني علاقة مع حارس من حرّاس مكتب الداخلية بمثل هذه السرعة التي لم تكن في البال. ابن عمي بنى آمالاً عريضة على تلك العلاقة، فهو محتاج إلى خدمات مكتب الداخلية، أفراد آخرون من العائلة محتاجون

36 شقير، محمود، **الأعمال القصصية الكاملة: القصص القصيرة**، حيفا: دار راية للنشر والتوزيع، 2012، ص 210-222.

لخدمات المكتب ايضاً. وحينما تكون لابن عمي علاقة غير مشبوهة مع أحد الحراس، (نعم، علاقة غير مشبوهة! وهذا أمر يصرّ عليه ابن عمي، لأنه لا يحب أن يقال عنه إنه مرتبط بعلاقة مشبوهة مع سلطات الاحتلال) فإن ذلك سيتيح له أن يمارس رغبته في الظهور بمظهر الشخص القادر على مساعدة الأقارب والأصدقاء، الذين يتذمرون من سوء المعاملة التي يتعرضون لها أمام مبنى الداخلية باستمرار. ابن عمي لم يضيّع دقيقة من وقته. ما إن غادر مبنى الداخلية، حتى اتجه إلى أقرب محل لبيع الأقراص المدمجة وأشرطة الغناء، سأل عن أحدث أغاني شاكيرا. باعه صاحب المحل عدّة أقراص مدمجة حملها بحرص بالغ وعاد بها إلى البيت. استمع إليها بضع ساعات دون انقطاع. ثم أخبر والده بحقيقة أن ثمة واحدة من بنات العائلة تمارس الغناء.

عمي الكبير أظهر استياءه الفوري من هذا الخبر، لأنه لا يطيق أن يمسّ أحد سمعة العائلة بكلام لا يليق. إلا أن ابن عمي خفّف من وقع المفاجأة على والده، وحدّثه عن الحارس روني المعجب بشاكيرا، (عمي يحاول منذ أشهر الدخول إلى مبنى الداخلية دون جدوى) وحدثه كذلك عن النجاحات التي تحققها شاكيرا في عالم الغناء، وكيف أن العائلة، عائلة شاكيرات، يمكنها أن تجني فوائد جمة من علاقة كهذه. حينما شمّ عمي الكبير رائحة المصالح تفوح من الخبر الذي سمعه، انتعش دون حاجة إلى دواء، وراح يستفسر من ابنه عمّا لديه من معلومات عن شاكيرا، لكي يطابقها مع معلوماته عن شجرة العائلة، التي يحفظها عن ظهر قلب.

بعد تمحيص سريع، أكد عمي الكبير لمن يرتادون مضافته من أهل الحي، أن جد شاكيرا الأول ينتمي إلى عائلة شاكيرات، وأنه رحمة الله عليه اختلف مع إخوته على تقسيم الإرث الذي تركه والدهم، فاختار الهجرة إلى لبنان، وهناك، غيّر ديانته حينما أحب حتى الجنون، امرأة لبنانية جميلة، تنتمي لديانة سيدنا عيسى عليه السلام، ثمّ تزوجها وأصبح له منها أولاد كثيرون ظلوا يتناسلون حتى جاء إلى الدنيا والد شاكيرا، التي لولا شهرتها المفاجئة في عالم الغناء، لظل هذا الفرع من عائلة شاكيرات مجهولاً، لا يعرف أحد من أبناء حيّنا شيئاً عنه.

حينما أصبح الحي كله يتناقل أدقّ التفاصيل عن شاكيرا، أخذ عمي الكبير

يشعر بالحرج، فالبنت متحررة تماماً كما يبدو، ربما لأنها تعيش في الجزء الغربي من الكرة الأرضية، (في بلاد اسمها كولومبيا يا سيدي. هذا ما يقوله عمي بشيء من التذمر) ولو كانت مقصوفة العمر تعيش هنا في هذا الحي (حيّنا)، لما سمح لها عمي الكبير بالرقص والغناء، وهي شبه عارية. عمي الكبير لا يصدّق أن شاكيرا تظهر شبه عارية على التلفاز، هو لا يشاهد التلفاز، لكن أناساً كثيرين رووا لعمي أنهم شاهدوا شاكيرا على شاشة التلفاز، ببطن عارٍ وفخذين مثل الألماز، يستمع عمي الكبير إلى كلامهم، ولا يجرؤ على تكذيبهم، لكنه يتملص بشكل أو بآخر من الموضوع، يحاول صرف الأذهان عن الرقص والغناء، بالعودة إلى الماضي الجميل، يحدّثهم عن شجاعة الجدّ الأول لشاكيرا، وكيف أنه صادف ضبعاً في البرية ذات مساء، فلم يجبن ولم ينضبع، بل إنه ظل يصارع الضبع حتى صرعه، سلخ جلده وباعه بأرخص الأثمان.

حينما يخلو عمي الكبير إلى نفسه، يميل إلى تصديق كلام أهل الحي: لولا أنهم شاهدوها ترقص شبه عارية لما تحدّثوا عن ذلك. كان يفاتح ابنه بهواجسه هذه، وفي بعض الأحيان، كان يشتم شاكيرا بألفاظ نابية، فلم يجرؤ ابن عمي على إخبار أبيه بأن شاكيرا متورّطة في علاقة حب مع ابن رئيس الأرجنتين. لو عرف عمي ذلك، ربما اندفع إلى نزع صورة شاكيرا عن صدر الحائط في بيته. الصورة أحضرها ابن عمي طبعاً، وجدها منشورة في إحدى الصحف، فأخذها إلى المصوّر وطلب منه أن يُكبِّرها، كبرها المصور وأحضرها ابن عمي، واقترح على أبيه أن يعلقها على صدر الحائط في المضافة، لكنّ عمّي استكثر هذا وقال: منذ متى يا طلحة نقبل بأن نضع صور نسائنا في المضافة التي يأتيها الناس من كل مكان؟ فاختصر ابن عمي النقاش حول الأمر وعلق الصورة في إحدى غرف البيت المخصصة للنساء.

وقد اضطّر عمي الكبير إلى الرضوخ لمشيئة ابنه، (اضطر لذلك أملاً في الحصول على بطاقة هوية تمكّنه من السفر عبر الجسر، فقد ضاعت بطاقة هويته التي استلمها من الإسرائيليين بعد احتلالهم للقدس) إلا أنه وضع شالاً فوق إطار الصورة لكي يحجب شعر شاكيرا وكتفيها العاريين عن العيون. فعل عمي الكبير ذلك، لحفظ سمعة شاكيرا والعائلة من ألسنة النساء اللواتي يأتين بين الحين والآخر إلى البيت، للزيارة ولنقل الشائعات.

ولم تكن هذه هي الصورة الوحيدة لشاكيرا، فقد امتلأ مكتب ابن عمي بصور مختلفة للمغنية الشابة. ألاحظ ذلك حينما أزوره بين الحين والآخر، أمدّ يدي له بالتحية وأنا أحدجه بنظرة تنمُّ عن اتهامي له بأنه كلب. يمد يده لي بالتحية وهو يحدجني بنظرة تنمُّ عن اتهامه لي بأنني حمار. يقول لي: أنت ما زلت دقّة قديمة، خليك ملحلح شوية! الظروف تغيرت، ونحن نعيش زمن الإنترنت والقنابل الذكية. أجلس في مكتبه العامر بالإيحاءات العصرية، أتابع اتصالاته الهاتفية التي لا تنقطع، أحاول معرفة ما يدور على شاشة الكمبيوتر المتربع على مكتبه، فلا أعرف شيئاً، يضحك بين الحين والآخر ضحكة سمجة، ثمّ يحدق في الشاشة، وبالذات كلما أراد أن يستريح من الكلام معي، أو لكي يتهرّب من سؤال لا يحب أن يجيب عليه.

لابن عمي علاقات كثيرة من هذا الطراز، وهو مقتنع بأنها ستعود عليه ذات يوم بالنفع العميم. مثلاً، حينما راج الخبر حول علاقة الحب التي تربط شاكيرا بابن رئيس الأرجنتين، لم يعلق هذا الخبر بذهني سوى لحظة واحدة. أما ابن عمي، فقد راح يوظّفه في شبكة استعداداته للمستقبل. قال لي: سأوثّق علاقتي بالأرجنتين انطلاقاً من هذا الخبر، سأسعى لكي أصبح وكيلاً لبعض الشركات الأرجنتينية، وقد أُصبح ذات يوم قنصلاً فخرياً للأرجنتين في المشرق العربي كله. حينما ابتسمت ساخراً منه، ضحك باستهزاء وقال: أنت واحد درويش (يقصد: حمار، بطبيعة الحال)

ولابن عمي اجتهادات عجيبة غريبة. تحدّاني مرّة قائلاً: أستطيع أن أدعو عشرة رجال وعشر نساء لتناول طعام الغداء في بيتي، أسكب لهم الطعام من طناجر فارغة في صحون فارغة، وسيأكلون حتى الشبع، وسيعودون إلى بيوتهم وهم متخمون من كثرة ما التهموا من طعام. يقول ابن عمي متباهياً بقدراته الذهنية، معتدّاً بانتباهه الدقيق لإيقاع العصر ومنطقه: تستطيع أن تخلق لنفسك الحقائق التي تريدها، وتستطيع في الوقت نفسه أن تقنع أعداداً متزايدة من الناس بهذه الحقائق التي لا يمكن لمسها أو إقامة الدليل المادي على وجودها. المهمّ في الأمر أن تكون على قدر من اللحلحة والبراعة والذكاء. كنت أتجنّب الدخول في رهان مع ابن عمي لسبب ما.

أما عمي الكبير فقد دخل الرهان، وأيقن أن الحارس روني سيستقبله ويأخذه

في الأحضان، سيحدّثه عمّي عن جدّ شاكيرا الأول، سيقول له إن هذا الفرع من العائلة معروف بحبّ الطرب وبالميل إلى الغناء منذ زمن بعيد، ولذلك، فإن العائلة لم تستغرب أمر نبوغ شاكيرا في الرقص والغناء. سيروي له، إن سمح وقته، (وقت روني) نوادر كثيرة عن جدّ شاكيرا الأول.

عمي الكبير دخل الرهان، وأيقن أنه سيحصل على بطاقة هوية جديدة، وسيذهب إلى عمان، للحصول على جواز سفر مؤقّت، سيذهب إلى إسبانيا لقضاء عدة أسابيع هناك. اعتاد عمي الكبير أن يتفشخر أمام الناس، فيقول على نحو مثير للفضول: سأذهب إلى إسبانيا لزيارة ابنتنا. ولما كان أهل الحي يعرفون أن كل بنات عمي الكبير مقيمات هنا في الحي، فإنهم كانوا يسارعون إلى طرح السؤال عليه: من هي ابنتكم هذه؟ فيجيبهم متباهياً: شاكيرا، إن لها بيتاً فخماً في إسبانيا تقيم فيه عدّة أشهر كلّ عام.

ولن يكتفي عمي الكبير بزيارة شاكيرا، (الفالتة اللي ما خلّت دف إلا رقصت عليه، يقول عمي ذلك للصفوة من أبناء العائلة) فقد قرر أن يزور الديار الحجازية لأداء فريضة الحج بعد طول انتظار. عمي الكبير لا يقطع فرضاً، يصلي الصلوات الخمس في أوقاتها، لكنه يشعر بالندم لأنه ارتكب بعض الذنوب في أيام شبابه. مرّة، عمل عمي الكبير في التجارة. كان يذهب إلى إحدى القرى في موسم الزيت، يشتري خمسين تنكة من زيت الزيتون، يُدخلها إلى مخزن أعدَّه خصيصاً لهذا الغرض، ثمّ يخرجها منه لكي يبيعها وقد أصبح عددها مئة تنكة، (كانت لعمّي طريقة بارعة في الغش)، كان يدهن رقبته بزيت الزيتون خفية، متوقّعاً أن يستحلفه الناس إن كان الزيت الذي يبيعه لهم زيتاً أصلياً، يتظاهر عمي الكبير بأنه يحلف وهو يقول: على رقبتي زيت زيتون أصلي. فيصدّقون.

عمي الكبير أسرّ لي بذلك لكي يتخفّف من شعوره بالذنب، وقال: سأذهب لأداء فريضة الحج كي يغفر الله لي هذا الذنب.

ولعمي الكبير ذنوب أخرى، مرّة جاءت بائعة الحليب إلى بيته في الصباح. فتح لها الباب، فأعجبه قوامها المديد، مدّ يده إلى صدرها، أطبق على نهدها بأصابعه دون استئذان. بائعة الحليب ابتعدت عنه وهي تقول: آه من قلة حيائك يا رزيل.

عمي الكبير يشعر الآن بالحرج، إذ كيف سيقابل وجه ربّه في الآخرة، وكيف سيكون حاله يومَ يسأله الملكان اللذان سيشرعان في الكشف عن ذنوبه فور نزوله إلى القبر: قل لنا لماذا وصفتك بائعة الحليب بأنك رزيل؟ عمي الكبير لم يبح لي بهذا الذنب الذي ارتكبه، وإنما وصلني الخبر عن طريق أحد مجايليه، وهو يصرّ على أنه لم يرتكب ذنباً آخر سواه، مع أن الشائعات تتحدث عن ذنوب أخرى ارتكبها عمي الكبير.

عمي الكبير دخل الرهان بالرغم من حذره الشديد. سمعته غير مرة في زمن سابق يتعجّب من استعجال ابنه ومن رغبته الطاغية في الشهرة والثراء، كان ينصحه قائلاً: يا ولد (ريغا ريغا)، والعجلة من الشيطان. هذه المرّة تخلّى عمي عن حذره ودخل الرهان.

في صبيحة أحد الأيام، ذهب صحبة ابنه، إلى مبنى الداخلية للحصول على بطاقة هوية. ذهبت معهما مدفوعاً بالفضول، ولم نذهب إلا في وقت متأخر من الصباح، لأن ابن عمي كان على ثقة من أن الحارس روني سيهبّ لاستقبالنا حالما يرانا، وسيفتح لنا باب المبنى الحديدي في الحال.

وصلنا المبنى وهالنا عدد الناس المتجمهرين هناك تحت حرّ الشمس. نظر ابن عمي عبر شبك الحديد، قال لنا باعتزاز وهو يشير إلى شخص له شعر أشقر طويل: ها هو روني. رفع عمّي يده محيّياً، فلم يستجب لتحيّته أحد. قال ابن عمي: إنه مشغول، هو دائماً مشغول في هذه القضية أو تلك. وقال: ننتظر قليلاً حتى ينتبه لنا. سأله عمي: متى كانت آخر مرة قابلته؟ قال: قبل أسبوعين، حينما أحضرت له مجموعة من أغاني شاكيرا. ارتاح بال عمي قليلاً، لكنه بدا قلقاً بعد ذلك بلحظات.

حاول ابن عمي أن يميّز نفسه قليلاً عن جمهور الناس المتزاحمين حول شبك الحديد وأمام باب المبنى، وقف على رؤوس أصابع قدميه، رفع يده عالياً فوق رأسه، وراح يلوّح بيده لروني لعله يراه. كان روني مشغولاً في انتهار الناس الذين يلحّون عليه من أجل السماح لهم بالدخول إلى المبنى، آثر ابن عمي الانتظار بعض الوقت دون الإتيان بأية إشارات من يده. إلا أنه تضايق حينما سمع عمي الكبير يسعل، تعبيراً عن الضيق والاستعجال. اضطر ابن عمي إلى رفع صوته منادياً: روني. قالها بصوت خافت أوّل الأمر، فلم ينتبه له روني. كرّر النداء

بصوت ممطوط مشوب بالثقة نوعاً ما: روني. ناداه ابن عمي من جديد بصوت مشوب بالارتباك: يا سيد روني. حاول ابن عمي أن يستنفر إحساسه بإيقاع العصر ومنطقه: أدون روني. أدون روني. نظر روني نحو ابن عمي نظرة سريعة، ثمّ أشاح بعينيه عنه لسبب ما. كرر ابن عمي المحاولة بعدّة لغات: ما شلوم خا أدون روني؟ هاو آريو مستر روني؟ كيف حالك يا سيد روني؟ بدا واضحاً أن روني سمعه، لكنه لم يعره أيّ اهتمام.

لم يستطع عمي الكبير احتمال هذا التجاهل الذي أظهره تجاهنا الحارس روني. صاح بصوت حاد: يا خواجا روني. رُد علينا يا خواجا. انتبه روني إلى الصيحة الجارحة التي أطلقها عمي، سأل وهو مستفزّ تماماً: أيش بدّك، قل لي؟ قال عمي بلهجة محمّلة بالود والرجاء: ابني طلحة، يناديك. أيش بدُّه ابنك، قل لي؟ ابتسم ابن عمي ابتسامة عريضة لتهدئة الموقف، ولم يجد عمي بُدّاً من إطلاق آخر سهم في جعبته لعله بذلك ينعش ذاكرة روني من سباتها اللعين، قال: إحنا أقارب شاكيرا، شو؟ نسيتنا يا رجل؟ اغتنم ابن عمي لحظة الصمت التي سيطرت على الموقف، قال باستعطاف: اسمح لنا بالدخول يا أدون روني. ردّ روني بغطرسة: بدّك تنتظر. أنا مش فاضي لك. ثم أدار ظهره دون اكتراث. حدقتُ في وجه ابن عمي: (كلب) حدّق ابن عمي في وجهي: (حمار) ولم نتبادل أيّ كلام.

اعتزل عمي الكبير الناس ثلاثة أيام، قام أثناءها بنزع صورة شاكيرا عن الحائط، ألقى بها بقوّة على الأرض فاستحال زجاجها إلى شظايا متناثرة. ولم يسافر عمّي إلى إسبانيا، كما لم يذهب إلى الديار الحجازية لأداء فريضة الحج، أما ابن عمي فقد أخبرني بأنه سيذهب إلى الحارس روني مرّة أخرى، ومعه مجموعة من أغاني ابنة عمنا شاكيرا.

## وجه جديد[37]

منذ سنة كان في الحقل، في يوم خريفي كهذا اليوم، إنما هو الآن في المدينة... في بيروت. كل ما فيها يزدحم ويختلط ويضطرب كهذه الأفكار في رأسه، كأنها ليست أفكاراً، إنما أشياء تعبر في رأسه. المقعد الذي يجلس عليه، الطبيب الذي أقفل الباب وراءه بغضب وسرعة؛ في كل شيء في وجوده ضارباً أقدامه على بلاط ضميره، كل شيء ما عدا أمه وقرعات الجرس الثلاث.

كان في الحقل منذ سنة، معوله يرتفع إلى فوق ويضرب ذاته في التراب اليابس، لماذا يعمل؟ لمن يعمل، لمن يقلب التراب ويودعه الحبوب؟ والكرمة يعتني بها، لماذا؟ أجل، لماذا؟ لقد أصبح في الخمسين من عمره، زوجته أكبر منه أيضاً، عشرون سنة عاشها معها فما استطاع أو لم تستطع أن تنجب له طفلاً من أجله يهب ذاته المعول والتراب والحبوب تدفن، تتحرك، تشق التراب، تنمو صوب السماء وتنحني سنابل مثقلة.

ترى، الشمعات التي أحرقها في الكنيسة لماذا لم يقبلها الله؟ ماذا لو أعطاه طفلاً ينسيه أنه سيموت غداً، وأنه أكثر من صنم لا يستطيع أن يكون غير وجوده، ماذا لو رزقه الله طفلاً -صبيا كان أو فتاة-- فيداعبه، يحمله على ذراعيه... يرفع صوب السماء... يقرص خده المورد فيبكي، وما يسكت إلا عندما يغني له أغنية كان يسمعها وهو طفل، يحمله على ظهره ويحبو به في أنحاء البيت. لكن باستطاعته أيضا أن يعلمه أشياء كثيرة -حتى الشتائم-... ويشتري له ما لم يحلم به طفل من أطفال القرية، حتى أبناء الأغنياء؟ ترى، كل تلك الشمعات حرقت وكأنها لم تحرق؟ لو أن له طفلا لما طمع أخوه في الحقل، ولما اعتبره الناس بلا رجولة. ماذا لو كان له مولود هو قطعة من ضلعه تحبو، تكبر... تكبر، ترث الأرض، وتعبر الموت.

في الحقل منذ سنة، تماوجت في أذنيه ضربات جرس الكنيسة، حزينة كذاك الأفق الرمادي، يخبئ الشمس في عبه، متلوية هادئة كغيمة تاهت فوق شجرة السنديان في جبهة التلة. ترى من مات؟ استعرض أسماء العديدين من أبناء القرية، دون أن تخطر زوجته في باله، لقد صعق عندما عرف أنها هي، شعر أن

37 بركات، حليم، **الصمت والمطر**، بيروت: دار مجلة شعر، 1958.

شيئا ما رافقه عشرين سنة قد انفصل عن ضلوعه فبكى، معظم أهل القرية قالوا أنه فرح لموتها، لكن التراب في الحقل ومخدته العتيقة يشهدان أنه بكى... وبكى بحرارة وألم، وكثرت وشوشات الناس، عندما تزوج فتاة صغيرة بعد مضي عشرين يوما على وفاة زوجته الأولى فقط، ما اتهموه بالفرح فقط، إنما اتهموه بالوقاحة وخرق التقاليد وبعدم احترام الموت. كان يجب ألا يفكر في الزواج قبل مضي أربعين يوما على أقل تعديل. أهل القرية جميعاً أنكروا عليه هذا الحق، وخاصة أخوه، قالوا إنه بلا دين، وبلا ضمير، وبلا إحساس، وإلا كيف يمكنه أن يتناسى من وهبته كل حياتها بمثل هذه السهولة؟ كذلك قالوا إن الله لم يرزقه ولن يرزقه طفلا لأنه كافر وشرير رغم أنه يتظاهر بالبساطة والمحبة والتقوى.

واعتزل الناس، وعاش وحده هو والحقل والكرم وامرأته التي أحبته رغم كبر سنه، كانت تشعر أن وجودها يخفف من آلامه، كانت تتألم في بعض الأحيان إذ تحس أن سروره واعتناءه بها هما سرور واعتناء بشيء ستحمله في جوفها.

تأكدت من هذا الشعور عندما ظهرت عليها علامات الحبل، فغالبا ما كان يربت على بطنها ويقول مبتسما بفرح: يا ملعون، ما أطيبك، اخرج ... اخرج يا ملعون، لقد رأيتك، يلعن أباك، يلعن أمك، اخرج، اخرج، لقد رأيتك.

وتدفعه عنها فيبتعد ضاحكا، لقد حملت طفلها في رحمها، كل هذه الشهور التسعة، أما هو فحمله في قلبه وفكره، ترقبا كله لهفة وفخر، تتصاغر أمامه الأشياء التي كان في الأمس يطأطئ لها رأسه ذليلا، في الأمس كان يسلك الطرقات الخالية من الناس فيتجنب نظراتهم الشامتة، أما الآن فلا يمر في وسط الساحة العامة، وقد رفع رأسه ورفع معه شاربيه، فالطفل لم يكن الشيء الجديد فقط في حياته، سرواله جديد، كذلك الكوفية والعقال والحذاء، كل شيء أصبح جديدا في حياته.

وهو الآن في بيروت منذ ثلاثة أيام، جاء بزوجته إلى المستشفى، رغم أنه لا يثق بالمستشفيات ثقته (بالداية)، التي على يديها أبصر كل أطفال القرية فجر الحياة، جاء بها إلى المستشفى، لكي يكون مختلفا، كل ما حرم منه سيكون في متناول يده، لن تشقق الطرقات والأشواك قدميه فيشتري له حذاء أحمر... والبرد لن يبيت في عبه، ولن تلفحه الرياح الثلجية، سيبعثه أيضا إلى المدرسة فلا يقضي حياته شريدا يركض وراء جَدّي عنيد، وشهوة الأكل لن تدفعه إلى

السرقة، سيقدم له كل شيء -حتى ابن عابد بك سيحسده على حياته- ولم لا يكون له كل هذا؟ الألف ليرة في (كوارة الطحين) لمن هي؟ والحقل والكرم والبقرة والخمس عنزات والأساور الذهبية في معصم أمه؟ لمن كل هذه إن لم تكن من أجله؟ كلها له، لن يحرمه من أي شيء، يكفيه هو أنه لم يعرف الحياة إلا حرمانا... نعم؟ سيبعثه إلى المدرسة فيصبح طبيبا، بدل أن تأكل عصا المعول الخشنة قطعا من أصابعه، يداه ستكونان نظيفتين لا تعكر بياضهما قطعة غبار صغيرة، ستكونان مثل يدي الدكتور جميل... ولن يموت هو قبل أن يراه يحمل السماعة، عند ذاك لن يحتاج أن يكنس بيت خليل أفندي، ولا أن يجلي صحونه، أو يسقي حصانه، أو يحمل له جرار الماء ليغسل رجليه، وأخوه سيطق من الحنق كذلك، سيطق هو وزوجته وابنه، ظنوا أنه سيموت وتجره الكلاب فيرثوا كل شيء غدا، عندما يترجل من السيارة حاملا الطفل على ذراعيه، وتنطلق حنجرة أخته بزغردة طويلة متقطعة، ماذا يقول للناس؟

المسبحة تطقطق في يده فتنسيه أنه جالس على مقعد خشبي في حديقة المستشفى منذ الصباح، ولكنها ما استطاعت أن تنسيه زوجته وطفله، فكان يطل كلما قصر خياله ربع قدم على المكتب ويسأل عنهما، وفي كل مرة كانت تجيبه الممرضة الجالسة وراء طاولة ضخمة (بعد) وتعاود عملها، ترى لماذا تأخرت هكذا؟ لا يذكر أن امرأة واحدة في القرية تأخرت مثلها.

أصغى إلى طقطقة المسبحة ثم ألقى نظرة على الشارع، لاحق الترام بنظراته منذ أن أطل حتى غيّبه المنعطف، وجاء الترام الثاني، فالثالث... ثم الرابع، وما راقب الأخير، إنما راقب شاربي سائقه الضخمين وضحك ثانية، ثم التفت إلى بائع الذرة عند زاوية المستشفى، فذكرته تلك الأكواز الشهية المشكوكة في جانبي الموقد أنه جائع، وقف وأدار ظهره إلى الشمس، ثم قاس خياله، فوجده قد أصبح قدما واحدا، إنه وقت الغداء، لماذا تاخر ابن أخته.

وسقطت المسبحة من يده فتناولها وعاد يتطلع بأكواز الذرة (ليشتري واحدا) ووقف ثم جلس ... لا ... لا يستطيع أن يصرف المال هكذا، غدا، الطفل يحتاج إلى كل قرش يملكه، سينتظر ابن اخته فيشتري له صحن فول ورغيفين وبصلة وكبيسا كما فعل صباحا.

وانصرف إلى المكتب، فرفعت الممرضة رأسها وقالت: (بعد) قبل أن يسألها،

لم ينطق بكلمة، إنما أدار ظهره وعاد نحو الزاوية الثانية من الحديقة، وخطر له أن يعد الذين يمرون في الشارع (... 1...2...3...4...5.....55) وجذبت نظره فتاة تسوق دراجة بتمهل، وقد تابع الدراجة بنظراته وبميلة من جسده إلى الأمام، ثمّ لوّح رأسه بغضب عندما اختفت: بنت المنحوس، ترى كل بنات بيروت هكذا؟ لن يسمح لابن اخته أن يتزوج إلا فتاة من الضيعة.

وتنبه إلى أن جماعة من الناس مرت في الشارع، فرفع يده ورماها بحنق على ركبته: بنت المنحوس، لقد أنسته أين وصل.

وعاد يعد من جديد (1... 2... 3.....112...113) وسمع صوتا نسائيا وراءه: يا عم.

فالتفت ليجد أنها الممرضة وقبل أن يفوه بكلمة قالت: الدكتور يريد أن يراك.

وقف بحركة غير متزنة: خير إن شاء الله؟ أين هو؟

في المكتب.

وظل يسير وراءها رغم أنه ود لو يسبقها، حتى إذا ما وصل إلى المكتب، وجد الدكتور الشاب أمامه، فقال: يا عم.

نعم.

أحنى الطبيب رأسه إلى الأرض ثم قال مترددا: إنها بحاجة إلى عملية.

رفع يده المحفّرة إلى أنفه يمسح ذلك السائل الذي لازمه منذ أصابه الزكام في الأسبوع الأخير، وعادت يده إلى تحت تمسح حالها في سرواله، فيما كان يتنحنح بخجل ويسأل الطبيب: عملية؟

هز الدكتور رأسه بحنق بينما كان فاضل يحكي في فمه كلمات حائرة: نعم، عملية، عملية، أما سمعت بهذه الكلمة قبلا؟

أحنى رأسه بهدوء وقال: سمعت... ولكن... ولكن آ... آ... ليس ه... هناك خطر يا دكتور؟

وأراد أن يقول له (في كل شيء خطر يا عم) غير أنه ابتسم وقال: الخطر قليل

جدا. نقوم بمئات العمليات كل سنة.

كلها تنتهي بالسلامة؟

- يعني.

أحنى رأسه إلى الأرض وتطلع بحذائه، وقال: طيب يا دكتور.

خرج إلى حديقة المستشفى ثانية، خمس شمعات لمار الياس، كان على وشك أن يخصص خمسا وعشرين ليرة لأرملة عادل نصار، لكنه ضبط نفسه في الوقت المناسب، لا يمكنه أن يبذر أمواله هكذا. هذه الأموال أصبحت للطفل، جلس على المقعد وترامت يداه في حضنه، المسبحة خشخشت في جيبه، ولكن يده مستسلمة لشيء كالخدر فليس فيها ما يدفعها لأن تتناولها. كذلك يشعر أنه لا يستطيع أن يعد الناس المارين في الشارع ولا أن يراقب الترام، لم يعد جائعا، لا يريد أن يفكر أو يشعر أو يجوع... لا يريد إلا أن يستسلم للاشيء، أغمض عينيه، لا شيء، العالم ليس سوى امتداد كالسماء الزرقاء، كالغيوم البيضاء، كالظلمة الخائفة خارج جفونه، بوق سيارته يتفجر في عالمه، الغيوم البيضاء تدور على نفسها.... تدور في الظلمة، تبتعد السماء الزرقاء، تقترب، تكاد أن تلتصق بجفونه فيفتح عينيه، لقد عاد العالم من جديد، الأبنية القائمة، حربة الترام معلقة في الهواء، الناس، الأشجار، كل شيء عاد إليه، السبحة ما زالت هادئة في جيبه، مابه؟ تراه خائفا؟ لا شيء يدعو للخوف، الخوف للصغار، امرأته صبية تحتمل ألف عملية، لا شيء يدعو للخوف، الخوف للصغار.

في ذلك الوقت كان الطبيب قد بدأ العملية، ويده تتناول آلة بعد أخرى برشاقة وبراعة، الممرضة تحدق بعينيه... بالقطعة البيضاء على فمه، بالقفازات في يديه، بالعرق على جبهته، تنتظر شارة منه فتقدم له ما يريد، تمد أصابعها تمسح العرق عن جبهته، ويكمل عمله دون أن ينتبه، وضعه غريب.

استمر في عمله دون أن يجيب، إنما هز رأسه بشيء من الغضب، وأدركت هي حراجة الموقف، فحدقت به مستعدة أن تقدم له ما يطلب بسرعة.

لا يتحرك.

ظلت تراقبه دون أن تقول أي كلمة.... تراقب جبهته، القطعة البيضاء على فمه،

يداه تزداد حركة، تهدأ ... تنتزعه إلى العالم، لم يصرخ، تأوه الطبيب بحزن: ميت.

تأملته المرضة معجبة بوزنه وجماله، ورفعت نظرها إلى الطبيب: حرام، ما أجمله.

ولفهم صمت خدشه صوت الطبيب: اذهبي وأخبريه.

أنا؟ أرجوك.

كفى، اذهبي، اذهبي.

خرجت بهدوء وحيرة.... وسمعت ضحكة عالية، فالتفتت صوبها فإذا هو يراقب طفلين يلعبان. ترددت... كان يبدو عليه كأنه يود أن يشاركهما اللعب.

وتطلع إلى أكواز الذرة، ولكنه غض بصره. الطفل يحتاج كل قرش.